تجريف التاريخ

انتهاكات أطراف النزاع للممتلكات الثقافية في اليمن

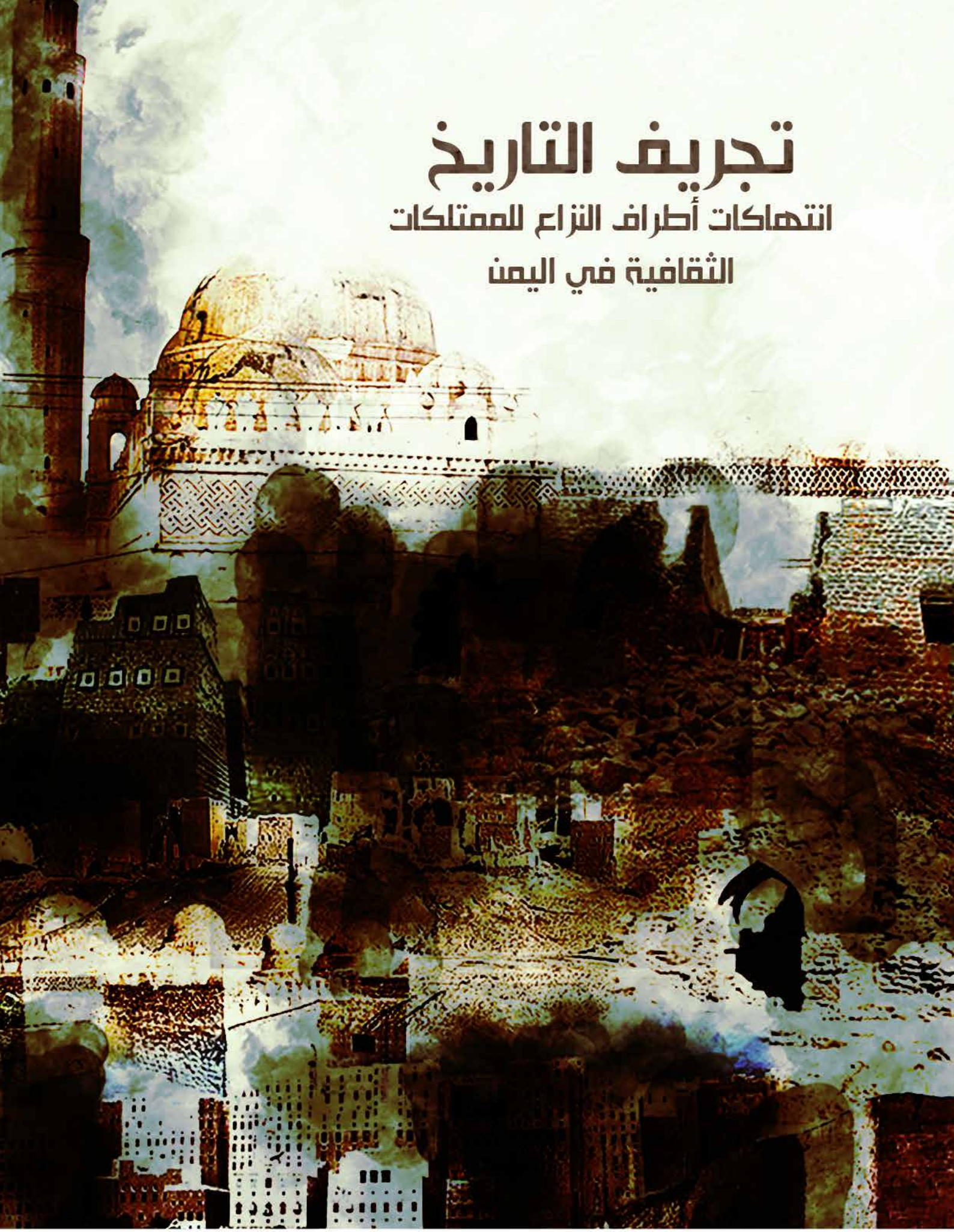

مواطنة لحقوق الإنسان

نوفمبر 2018 - اليمن
www.mwatana.org

تجريف التاريخ

انتهاكات أطراف النزاع للممتلكات الثقافية في اليمن

نوفمبر / تشرين الثاني 2018

مواطنة لحقوق الإنسان
www.mwatana.org

أصدرت مواطنة لحقوق الإنسان هذا التقرير
بدعم من:

PAX
paxforpeace.nl

فهرست

6 خلفية تاريخية

11 غياب المساءلة

13 مفاهيم وتعريفات

14 - الممتلكات الثقافية
14 - التراث الثقافي
15 - التراث الثقافي المادي
15 - التراث الثقافي غير المادي(التراث الحي)

16 منهجية التقرير

18 الملخص التنفيذي

21 التوصيات

22 - إلى كافة أطراف النزاع في اليمن
22 - إلى جماعة أنصار الله (الحوثيين)
22 - إلى جماعة أنصار الشريعة وتنظيم القاعدة
23 - إلى القوات العسكرية اليمنية تحت قيادة الرئيس عبدربه منصور هادي والجماعات المسلحة التي تتبعه (جماعة أبي العباس في تعز- والمقاومة الشعبية في باقي المناطق اليمنية)
23 - إلى دول التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات
23 - إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة
24 - إلى الدول المصدرة للأسلحة، خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، فرنسا وإيطاليا
24 - إلى فريق الخبراء البارزين بشأن اليمن

25 الإطار القانوني

31 الفصل الأول: آثار تاريخية قديمة

32 - مدينة براقش- الجوف
35 - البوابة الشمالية لسدّ مأرب القديم
38 - موقع البيضاء (نشق)- الجوف
41 - موقع السوداء (نشان)- الجوف

43 الفصل الثاني: مدن على لائحة التراث العالمي

44 - مدينة شبام– حضرموت
46 - حارة القاسمي بمدينة صنعاء القديمة
49 - حارة الفليحي- صنعاء القديمة
51 - منزل في مدينة صنعاء القديمة

53 الفصل الثالث: معالم

54 - حصن كوكبان
56 - قصر دار الحجر- لحج
58 - قصر السلطان العبدلي- لحج
60 - قلعة القاهرة- تعز
63 - قصر صالة- تعز
65 - قلعة السنارة موقع العبلاء- صعدة
67 - موقع القفل- صعدة
69 - رصيف السياح- عدن

72 الفصل الرابع: آثار دينية

73 - جامع الهادي- صعدة
76 - مسجد المعتبية- تعز
78 - جامع ومدرسة الأشرفية- تعز
80 - جامع المظفر- تعز
82 - جامع وقبة عبدالهادي السودي- تعز
84 - قبة الرميمة- تعز
86 - كنيسة سانت جوزيف– عدن
88 - كنيسة شيلدن- عدن
90 - مسجد الحسيني– عدن
92 - معبد البِينيان أو معبد الهندوس- عدن

94 الفصل الخامس: متاحف

95 - المتحف الحربي- عدن
97 - المتحف الوطني للآثار (قصر العُرْضي) تعز

99 تنويه وشكر

خلفية تاريخية

شهد اليمن واحدة من أقدم الحضارات التي عرفها الإنسان في الشرق الأوسط. وتشير المصادر التاريخية إلى أن علم التاريخ في الجزيرة العربية، عُرف في جنوبها[1]. اعتمدت هذه الحضارة على التجارة والتعدين والزراعة والعمران، ما أهّلها لخلق مجتمع مستقر اضطلع بتسجيل أحوال هذا التطور ونقل ما في خبراته من تراكم عبر التاريخ. وقد تمّ نقل جزء من هذه الخبرة إلى خارج اليمن، على فترات متباينة، مع الحشود البشرية التي هاجرت شمالاً[2].

وبالنظر إلى الموقع المناخي لليمن، والمتصل اتصالاً مباشراً بتأثير الرياح الموسمية، ازدهرت الزراعة في هذا البلد، وابْتكر سكانه أساليب ريّ فاعلة كالقنوات والسدود. وقد كان لذلك الازدهار الزراعي، تأثير مباشر على العلاقات الاجتماعية التي أبدعت منظومة من التراث اللامادي المصاحب لطقوس العبادة والري والحصاد.

فرض العمل في الحقل مشاركة أوسع للنساء[3] خارج المنزل، جنباً إلى جنب مع الرجال. فاليمن القديم المستقر، كما تبين الآثار والنقوش، أعطى حيزاً كبيراً لمشاركة المرأة في المجال العام، وصل ذروته بتولي امرأة مقاليد الحكم. ومن جانب آخر، جعل تعاضد الموقع الجغرافي مع حركة التجارة العالمية، اليمن نقطة اتصال بين مصر والبحار الجنوبية والهند[4]. وكان هذا سبباً رئيسياً لوضع اليمن نصب أعين المصالح الدولية، التي لم تخلُ من أطماع، باعتباره بلداً مترفاً في فترة من تاريخه[5]. تلك هي الفترة التي سادت البلد فيها طبقات ثرية اهتمّت ببناء القصور والقلاع[6].

ومثلما جلب هذا التطور المستعمرين نحو اليمن، فقد مثّل نقطة تحوّل؛ إذ أتيح لليمنيين، إلى جانب أمور أخرى كثيرة، توثيق التاريخ اليمني القديم، بتقاليده القانونية والسياسية التي انتهجوها لحل الخصومات فيما بينهم[7]، وبناء الدول المتعاقبة، والاتحاد والانفصال بين الأقاليم القديمة[8]. وتجسّد الكثير من الآثار الباقية حتى الوقت الراهن، شاهداً حياً على فترات الازدهار والانحسار، التي مربها اليمن القديم. على أن معظم المصادر التاريخية تتفق على أن الكثير من آثار اليمن في العصور القديمة مازال "مطموراً تحت الأتربة والرمال".[9]

ولم تكن فترة التاريخ الوسيط لليمن، أقل ثراءً؛ وهي الفترة التي شهدت انتشار الإسلام في البلاد، ولاحقاً، تعدُّد مذاهبه. تمّت كتابة "التاريخ" في هذه الفترة بوعي أكمل، خاصة مع ثبات اعتماد اللغة العربية، كلغة رسمية للتدوين؛ فنقلت المخطوطات التي احتفظت بها مكتبات البلد، الكثير من تعاليم الدين، وأخبار الدويلات التي تنازعها حكام الأقاليم الإسلامية، كما احتفظت مكتبات الجامع الكبير بصنعاء، والمتحف الوطني بتعز، ومكتبة مدينة زبيد، ومكتبة مدينة جبلة، بجزء كبير من هذه المخطوطات.

(1) سيد، أيمن، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1974، المجلد 7، ص:3

(2) «البتراء» كانت أحد مراكز التجارة اليمنية: إبراهيم، ميرنا، قصة وتاريخ الحضارات العربية، 1998-1999 Edito Creps, INT ص:7

(3) يبدو أن إسهام المرأة إلى جانب الرجل بنصيب كبير في مجالات الإنتاج بالمجتمعات الزراعية القديمة، وفي مراحلها الأولى بخاصة، كان أظهر منه في غيرها، وهو واقع رتب للأنثى من الحقوق والالتزامات ما قد يزيد كماً ونوعاً عن نصيب أختها في المجتمعات القديمة الأخرى: صالح، عبدالعزيز، المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة، جامعة الكويت، 1985، ط1، ص: 69

(4) البريهي، إبراهيم، الحرف والصناعات في ظل حروف المسند الجنوبي، وزارة المعارف السعودية، 2000، ط1، ص: 19

(5) وصف فارنستنيس اليوناني (195 ق. م) اليمن بأنه "أغنى بلدان الأرض قاطبة": قصة وتاريخ الحضارات العربية، مرجع سابق، ص:35

(6) توضح المصادر التاريخية أن العمارة ازدهرت في الألف الأول قبل الميلاد، وتم توارث شكلها من العمران حتى الوقت الحاضر: قصة وتاريخ الحضارات العربية، مرجع سابق، ص:35

(7) هناك قوانين متعلقة بالمنازعات على الأراضي وأخرى على السقاية. لمعرفة المزيد: الحرف والصناعات في ظل حروف المسند الجنوبي، مرجع سابق، ص:102

(8) وعلى سبيل المثال، لا الحصر، نجد نقش «اللوحة الاتحادية»، الذي تم اكتشافه في منطقة الجوف، وعلى أساسه قام اتحاد بين دولتي معين وسبأ: قصة وتاريخ الحضارات العربية، مرجع سابق، ص:30

(9) «أتمنى على جامعة الدول العربية والدول العربية (...) إرسال بعثات من المتخصصين بالآثار واللهجات والأقلام القديمة، إلى مواطن الآثار في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية والمواضع الأخرى من جزيرة العرب، للتنقيب عن الآثار والكشف عن تاريخ الجزيرة المطمور تحت الأتربة والرمال، ونشره نشراً علمياً.». د. جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام- الجزء الأول، الطبعة الثانية، ص:9

سجلت هذه "الآثار" في تاريخ اليمنيين لحظات فارقة، ومنها تلك التي تجسدت في تولّي الملكة أروى بنت أحمد الصليحي (473- 532 هـ/1138-1080م) مقاليد الحكم في اليمن. أُطلقت على الملكة ألقاب مثل "السيدة" و"الحرة"، وهي ألقاب ما زالت تُعرف بها الملكة أروى حتى الوقت الحاضر. كما تحظى فترة حكمها بالكثير من التبجيل لدى اليمنيين، نظراً لما شهدته من تقاليد سياسية راسخة[10]، وما رافقها من حراك تنموي[11] واهتمام واضح بالبنية التحتية[12].

وإلى جانب ما تراكم خلال هذه المرحلة من آثار، أبدعت الدولة الإسلامية أنماطاً مختلفة من الأبنية الدينية،[13] المدارس،[14] الأضرحة، التكايا، الكتاتيب، الأربطة، السماسر، الحمامات، والقلاع التي ميّزت -بمعمارها المختلف- الدولة التي كانت سائدة فيها. ورغم أن تعدد الدويلات الإسلامية وصراعها المستمر مع بعضها، والتدخلات الخارجية في شؤون البلاد، كان له أثرٌ كبير في تدمير بعض المعالم التاريخية، إلا أن تأثيره تجسّد أيضاً في تنوع الفن الإسلامي في اليمن[15]. ومع ذلك، فقد شابت تلك الصراعات والتدخلات حالة عداء مفرط تجاه التاريخ والتراث المتنوع.

رغم دورات النزاع السياسي والحروب التي شهدها اليمن منذ تفكك آخر مملكة مستقرة في تاريخه القديم، مروراً بفترات الصراع في عهد الدويلات الإسلامية وما تلاها، فقد احتفظت البلاد حتى وقت متأخر من القرن العشرين، بجزء من تراثها المادي واللامادي. احتفظ اليمنيون بهذا التراث بفعل العادات الاجتماعية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ. وتعزو كثير من المصادر[16] هذا الأمر للعزلة التي طبعت الممارسات السياسية في القرون الأخيرة من الألفية الثانية، خاصة في المناطق الشمالية من اليمن. على أن التراث المادي (نقوش وتحف أثرية) في كلا المناطق الجنوبية والشمالية، تعرض بصورة متزايدة، منذ بدء الاستكشافات الأثرية منتصف القرن الثامن عشر، إما للنهب والسرقة والتهريب إلى خارج البلاد، أو التدمير والتشويه.

(10) تشير المصادر التاريخية إلى أنها أول تجربة في الحكم الاتحادي، بعد أن قسمت البلد إلى أقاليم ومدن، وحكمها من خلال نظام إداري لامركزي دقيق، كما قامت بفصل الدعوة الدينية عن الدولة: المرسي، حياة، دور السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي في اليمن، جامعة الملك عبدالعزيز، 79/1980، عن الهمداني، الصليحيون، ص: 181

(11) اعتمدت الملكة على تأميم مساحة كبيرة من الأراضي، التي تستغل مبادلة محصولها بشراء ثروة حيوانية، وإتاحة جزء منها كأراضي خصبة ومراعي لها: الحداد، يحيى، تاريخ اليمن السياسي، ص: 212. عامر تامر: أروى ملكة اليمن، ص: 151.

(12) "والزائر إلى مدينة جبلة، يرى الجسور المعلقة التي تربط بين ضفتي الوديان وقنوات الري المعقدة وشديدة الإتقان والتي امتدت وقت بنائها من جبلة إلى الجند، وجامع ومدرسة الملكة، وبقايا قصر العز، إلى جانب مشاريع أخرى، منها تعبيد الطريق من سمارة إلى منطقة السياني": تاريخ اليمن السياسي، مرجع سابق، ص 212.

(13) يشير مؤلف مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في اليمن، إلى أن الجامع الكبير بصنعاء تجمع المصادر على تأسيسه في حياة النبي محمد، وأجريت تعديلات عليه في فترات متباعدة، ويصح الأمر نفسه على جامع الجند في تعز، لكنه تعرض للهدم والبناء أكثر من مرة. أما الجامع الكبير بكوكبان فبني في عهد الدولة اليعفرية، والجامع الكبير بزبيد يرجع إلى ما قبل القرن الثالث الهجري، وأخذ أهميته في عصر الدولة الزيادية، وبني جامع ذمار بعد الجامع الكبير بصنعاء وقبل بناء جامع الجند، أما الجامع الكبير فبُني في بداية القرن الخامس الهجري، في فترة الحسين بن سلامة: شيحة، مصطفى، مدخل إلى العمارة والفنون في اليمن، ط1، 1987،.

(14) بنيت المدرسة العامرية برداع في عهد عامر بن عبدالوهاب، أبرز سلاطين الدولة الطاهرية، في عام 910هـ/1504م، والمدرسة الأشرفية بتعز، بناها السلطان الأشرف إسماعيل ابن الملك الأفضل عام 800 هـ، والمدرسة المظفرية بتعز، بناها السلطان المظفر بن عمر بن علي بن رسول965 هـ، والمعتبية، بنتها جهة الطواشي جمال الدين معتب عبدالله الأشرف، والمتوفية في 796 هـ، والمدرسة الجبرتية بزبيد بناها الشيخ إسماعيل بن عبدالصمد الجبرتي (806-722 هـ)، وهو صفي من عهد الدولة الرسولية، وجدد عمارتها عامر بن عبدالوهاب، والمدرسة البكرية بصنعاء، بنيت على الطراز العثماني، شيدها الوزير العثماني حسن باشا في عام 1005 هـ: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في اليمن، مرجع سابق.

(15) مدخل إلى العمارة والفنون في اليمن، مرجع سابق، ص: 13.

(16) «منذ السنوات الأولى للاستقلال، اعترض تطور اليمن (...) انعدام الاستقرار السياسي بفعل المؤثرات الخارجية (...) ولكي يحتفظ النظام الحاكم بدولته الناشئة بعيداً عن التأثير الخارجي، أخذ الإمام (يحيى) يمارس سياسة العزلة، وهذه السياسة أدت إلى بقاء وتكريس أنظمة القرون الوسطى»: مؤلفين، مجموعة، تاريخ اليمن المعاصر، مكتبة مدبولي، ص: 31.
= «استهدفت سياسة العزلة التي انتهجها الإمام (يحيى) حماية البلاد من تغلغل الدول الاستعمارية والاحتكارات التي سعت لإخضاع البلاد لنفوذها. وكان الوجه الآخر لسياسة العزلة الاحتفاظ بالعلاقات الاجتماعية –الاقتصادية المتخلفة والعادات والتقاليد الموروثة من الماضي: إيلينا. ك، جولوفكايا، التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية، مركز الدراسات والبحوث، 1994، ط1، ص: 369
= «تُعد ثورة سبتمبر 1962 التي أنهت ألف عام من حكم النظام الثيوقراطي الإسلامي، بمثابة علامة النهاية الرسمية لعزلة اليمن»: اليمن كما يراه الآخر، تامينيان، لوسين، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، 1997، ص: 324

كما احتفظ المجتمع اليمني بثقافة أقل تطرفاً[17]، وأكثر ميلًا نحو احترام التنوع. وأعطت الطفرة الاقتصادية المصاحبة للتوجه نحو اسكتشاف النفط[18]، هذه الثقافة، بعداً عصرياً. ففي المجتمعات المدنية ازدهرت الموضة ودور السينما[19] والموسيقى[20]، بينما حافظ الريف (القرية) على هويته التي تحميها وتسيّرها أواصر النسب وحسن الجوار. لقد كانت منظومة أخلاقية كاملة، قائمة على حسن النوايا، وعلى مجموعة من القيم المتوارثة من الأعراف التي كانت تشكل قوانين اليمن القديم، إضافة إلى التعاليم الدينية التي أكّد عليها الإسلام.

عكس نمط المعمار الريفي هذه الأخلاقيات. فالكثير من القرى اليمنية، خلال فترات طويلة من تاريخ اليمن، تكونت من سلسلة أفقية من الغرف المتصلة ببعضها. وكان يمكن لأكثر من عائلة أن تسكن في مجمع سكني عادة ما يتكون من طابق واحد. وعلى أفراد هذه الأُسَر المرور ببعضهم في الصالات المشتركة، أثناء نشاطهم المنزلي اليومي. وفي الليالي المقمرة، كانت الأسر، بنسائها ورجالها، يتسامرون في الأسقف المشتركة لهذه الأبنية، ويحكون القصص ذات الطابع الخرافي.

إن نمط البناء الأفقي بما هو عليه، كان السمة الموحّدة للطبقات الشعبية في تعايشها وانحيازها لبعضها. وفي المقابل حرصت الطبقات التي تميز نفسها، كالمشائخ وملاّك الأراضي، على أن تعكس ثراءها من خلال الأبنية التي اتخذت منحىً عمودياً.

هذا التقارب الاجتماعي، أتاح للناس تطوير ثقافة قائمة على التعايش والانفتاح. وانعكس التنوع الثقافي بصورة ملموسة، في مجموعة متنوعة من الملبوسات الشعبية، الأهازيج، والمناسبات ذات الطابع الاجتماعي الصوفي[21].

وإذا كان التراث المادي لليمن قد تعرض لجولات من مخاطر الطمس والتشويه والسرقة والتهريب على امتداد فترات النزاع السياسي التي مرّ بها البلد، فإن فترة السبعينات من القرن العشرين جديرة بأن يُنظر إليها باعتبارها فترة حاسمة بالنسبة للأخطار التي حاقت بتراثه اللامادي. ذلك أن التطورات التي رافقت هذه الفترة وما تلاها، صاحبها نشاط ذو طابع أيديولوجي، استثمر هو الآخر في اقتصاديات النفط، وتقنيات التطور العلمي. ومع تصاعد الطفرة النفطية والتقنية، تزايدت التباينات بين التيارات الأيديولوجية، بما في ذلك التباين المذهبي بين أبرز مذهبين دينيين؛ سنّة/ شيعة. ورغم أن الحالة في اليمن تأخذ تسميات أخرى: شافعية/ زيدية، فقد أدّى ذلك التباين في نهاية المطاف، إلى بروز ظواهر غير مألوفة من التطرف إزاء التراث اللامادي المتّسم بالتعايش والانفتاح. وتدريجياً، وصل الأمر إلى استهداف التراث المادي (الأعيان الثقافية)، سواءً بطريقة متعمدة تنم عن عدائية تجاهه، أو باللامبالاة إزاء قيمته التاريخية.

بعد التجريف الذي تعرضت له الهوية اليمنية الجامعة، أتت الحرب الدائرة اليوم، على ما تبقى من التراث المادي والممتلكات الثقافية، وجعلت البلد يفقد يوماً بعد آخر، إرثه المتنوع، وتقاليده الراسخة في الحكم والممارسات الاقتصادية والثقافية.

وقد تناوبت أطراف الحرب في تدمير عدد كبير من الأعيان الثقافية، سواءً باستخدامها لأغراض عسكرية أو باستهدافها وإلحاق أضرار متفاوتة بها. ولأن هذه الأطراف والجماعات المسلحة الموالية لها، تحمل أيضاً، موقفاً

(17) في حضرموت؛ تبجيل "الأولياء" من أكثر الجوانب بروزاً في الحياة الدينية لسكان الوادي، حيث يزورون أضرحة الأولياء التي تبنى فوقها القباب، وتقام أسواق حية بالغناء والرقص الشعبي أثناء الزيارات، ويحرق البخور وتقدم النذور: اليمن كما يراه الآخر، مرجع سابق، ص: 309 و310 و313

(18) في الخمسينات جرت محاولات التنقيب عن الثروات المعدنية في اليمن. وافتتحت في صنعاء مدارس درست فيها مواد علمانية، وتوسعت الحكومة في إرسال البعثات الدراسية إلى الخارج: تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص: 88

(19) يتحدث مؤلف كتاب «اليمن وأهل اليمن» (مرجع سابق)، عن أن سينما «بلقيس» في صنعاء، شهدت أول عرض لفيلم في منتصف الستينات، وكان الفيلم من بطولة الممثل المصري صلاح منصور.

(20) كانت رقصة البرع رمزاً للهوية القبلية، غير أنه منذ منتصف السبعينات حدثت تغييرات في أداء الرقصة ومحتوياتها، وانتقلت أماكن ممارستها من المناطق القبلية إلى الميادين العامة في المدن: اليمن كما يراه الآخر، ص: 327

(21) يمكن العودة إلى الهامش 16

عدائياً من التاريخ غير المتسق مع فكرها، فقد دُمّرت الكثير من الممتلكات الثقافية في مناطق سيطرتها.

علاوة على ذلك، عمدت أطراف النزاع الداخلية، في أكثر من مرة، إلى التمركز في مباني وقلاع تاريخية، ما ألحق بها أضراراً جسيمة[22]. كما أغارت قوات التحالف العربي على مدن تاريخية مدرجة ضمن لائحة التراث العالمي[23]، ومباني وقصور أثرية[24]، ما أدى لتدميرها تدميراً كلياً وجزئياً.

(22) تمركز طرفا النزاع في قلعة القاهرة في محافظة تعز والمتحف الحربي في مدينة عدن، وتم استخدامهما كثكنات عسكرية، ما ألحق بهما ضرراً بالغاً.

(23) يمكن الإشارة هنا إلى القصف الذي تعرضت له مدينة صنعاء القديمة من قبل قوات التحالف العربي في 12 مايو/ أيار 2015، (وهي مدينة مدرجة ضمن لائحة التراث العالمي): http://www.unesco.org/new/ar/culture/themes/dynamic-content-single-view/news/unesco_director_general_calls_on_all_parties_to_protect_yeme/، كما تعرض سور مدينة شبام كوكبان للتدمير بغارة جوية لقوات التحالف في 14 شباط/ فبراير 2016. ولحق دمار واسع بمسجد أثري في منطقة بني مطر نتيجة غارة جوية في 25 أغسطس 2016: http://www.unesco.org/new/ar/social-and-human-sciences/themes/sv/news/unesco_director_general_condemns_the_destruction_of_the_9th/

(24) دمرت مقاتلات التحالف العربي القصر الجمهوري بمنطقة التحرير في صنعاء، وهو بناء ذو طراز يمني أصيل.

غياب المساءلة

إن النظر لتدمير التراث والممتلكات الثقافية، على أنه سلوك لا يستحق الالتفات إليه، شجّع أطراف النزاع على مزيد من الانتهاكات. ومع حالة التيه في الهوية، عمّقت أطراف النزاع من نظرتها العدائية تجاه التاريخ الذي لا ينسجم مع أيديولوجيتها، ومن ثم تدمير التراث الذي ترى فيه خطراً على وجودها. غير أنه ما كان لهذه الأطراف أن ترتكب أي انتهاك ضد الممتلكات الثقافية، ما لم تكن متيقّنة من أنها بمنأى عن المساءلة والعقاب.

وهنا نود التأكيد على أن التراث بوتقة للتنوع الثقافي وعاملاً يضمن التنمية المستدامة[25]. وبالنظر إلى كون التراث مسلكاً إنسانياً مشتركاً، وباعتبار أن اليمن موقّع على كثير من الاتفاقيات لصون تراثها، فإن هناك مسؤولية تقع على عاتق المجتمع الدولي لكي يسهم في حماية هذا التراث، فضلاً عن المسؤولية التي تتحملها السلطات والمجتمع برمته تجاه تراثه و ممتلكاته الثقافية و التاريخية.

ويجوز، في أوقات النزاع، إدراج الممتلكات الثقافية بشكل استثنائي، على قائمة "الحماية المعززة"، التي تبناها البرتوكول الثاني لاتفاقية لاهاي المقرّ في العام 1999. لذا من الضروري أن يدرج المجتمع الدولي تراث اليمن ضمن القائمة، وبما يكفل منع الهجوم عليه أو استخدامه عسكرياً[26].

إن الإشارة إلى المنتهكين أو من يقف وراءهم، قد تجعل أطراف النزاع تحجم عن التصرف بعدائية أو بلامبالاة إزاء تراث اليمن وممتلكاته الثقافية. ومن المفيد تذكير هذه الأطراف بالمسؤوليات التي يجب أن تضطلع بها لحماية التراث، وبالعقوبات التي تنتظرها في حال تنصلت عن هذه المسؤوليات[27].

لقد مثلت محاكمة مسؤولين[28] أدينوا بتدمير ممتلكات ثقافية في أفريقيا، مثالًا جيداً للمساعي الحميدة لحماية التراث الإنساني العالمي، وكيف أن العالم، في حال توفرت لديه الإرادة، سيرسل رسائله الرادعة لكل الذين نصبوا أنفسهم أعداءً للتاريخ.

وفي النهاية، يجب التعويل على جهود إيقاف الحرب، والشروع في حوار جاد لإخراج اليمن من المأزق الذي يعيشه. إذ مع استمرار تدهور الوضع الإنساني، وانسداد الأفق السياسي، يقامر المتحاربون ببلد، كان ذات يوم كياناً واحداً، وفي ظرف ثلاث سنوات من الحرب، يكاد أن يتلاشى.

(25) وفقاً لتوصية اليونسكو بشأن صون الثقافة التقليدية والفلكلور 1989.

(26) يمكن مراجعة مجلة "الإنساني" التابعة للجنة الدولية للصليب الأحمر، العدد السابع والأربعون، شتاء 2009/2010؛ الحماية المعززة للممتلكات الثقافية في فترات النزاع المسلح، د. محمد سامح عمرو.

(27) وتؤكد اتفاقية لاهاي (1954)، وبرتوكولها الثاني، على عدم استبعاد أحكام المسؤولية الجنائية الفردية، حيث اعتبر أن ارتكاب شخص ما، عن عمد، لأي من الأفعال الواردة في البرتوكول يشكل جريمة، وتتمثل هذه الأفعال في استهداف ممتلكات ثقافية أو مشمولة بالحماية المعززة، بالهجوم أو استخدامها، أو جوارها المباشر، في دعم العمل العسكري، أو إلحاق دمار واسع النطاق بها أو الاستيلاء عليها؛ أو ارتكاب سرقة أو نهب أو اختلاس أو تخريب لها.

(28) المتهم بتدمير آثار تمبكتو في مالي يمثل أمام المحكمة الجنائية الدولية، موقع الأمم المتحدة: https://www.icc-cpi.int/mali/al-mahdi

مفاهيم وتعريفات

▪ الممتلكات الثقافية

درجت معظم وثائق القانون الدولي وكذا بعض التشريعات الوطنية على استخدام مفهوم "الممتلكات الثقافية" للتعبير عن تلك الممتلكات المنقولة والثابتة،التي تحظى بأهمية كبرى في تراث الشعوب الثقافي. فإذا كانت مفردة (ممتلكات) تدل على كل الأشياء المتداولة بغرض تلبية احتياجات الإنسان، فإن مفردة (ثقافية) تأتي لكي تضع تلك الممتلكات في سياقها الاجتماعي والتاريخي[29].

وبالنظر إلى بعض نصوص الاتفاقيات الدولية التي عرّفت مفهوم الممتلكات الثقافية، نجد أن التعريف الأكثر قبولاً وشيوعاً في ضوء القانون الدولي، مستمدّ من مصدرين:

- **المصدر الأول:** المادة الأولى من اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح (1954)، والمتضمنة لثلاث فقرات:

أ) الممتلكات المنقولة أو الثابتة ذات الأهمية الكبرى لتراث الشعوب الثقافي، كالمباني، المعمارية أو الفنية منها أو التاريخية، الديني منها أو الدنيوي، و الأماكن الأثرية، ومجموعات المباني التي تكتسب بتجمعها قيمة تاريخية أو فنية، والتحف الفنية والمخطوطات والكتب والأشياء الأخرى ذات القيمة الفنية التاريخية والأثرية، وكذلك المجموعات العلمية ومجموعات الكتب الهامة والمحفوظات ومنسوخات الممتلكات السابق ذكرها.

ب) المباني المخصصة بصفة رئيسية وفعلية لحماية وعرض الممتلكات الثقافية المنقولة المبيّنة في الفقرة (أ)، كالمتاحف ودور الكتب الكبرى ومخازن المحفوظات، وكذلك المخابئ المعدة لوقاية الممتلكات الثقافية المنقولة المبيّنة في الفقرة (أ) في حالة نزاع مسلح.

ج) المراكز التي تحتوي مجموعة كبيرة من الممتلكات الثقافية المبيّنة في الفقرتين (أ) و (ب) والتي يطلق عليها اسم "مراكز الأبنية التذكارية".

- **المصدر الثاني:** اتفاقية اليونسكو لعام 0791، بشأن الوسائل التي تستخدم لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية من الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة(30). وقد عرّفت الممتلكات الثقافية على أنها: «الممتلكات التي تقرر كل دولة، لاعتبارات دينية أو علمانية، أهميتها لعلم الآثار أو ما قبل التاريخ، أو الآداب، أو الفن، أو العلم، والتي تدخل في إحدى الفئات التالية: الممتلكات المتعلقة بالتاريخ، نتائج الحفائر الأثرية، التماثيل والمنحوتات الأصلية".

▪ التراث الثقافي

يمثل التراث الثقافي تلك القيم التي ينبغي نقلها إلى أجيال المستقبل، مادية كانت، كالأشياء والأماكن، أو معنوية، كالعادات والتقاليد والمعرفة واللغة. بمعنى أنها ميراث المقتنيات **المادية وغير المادية**، التي تخصّ مجموعة ما أو

(29) توفيق شرماق، (حماية الممتلكات الثقافية في القانون الدولي الإنساني)، مذكر لنيل شهادة الماجستير ،جامعة باجية، الجزائر. 2013، ص:9

(30) اعتُمدت هذه الاتفاقية في الجلسة العامة الثامنة والثلاثين بتاريخ 14 نوفمبر 1970.

مجتمع لديه موروثات من الأجيال السابقة، وظلت باقية حتى الوقت الحاضر ووهبت للأجيال المقبلة.

وعرّفت اتفاقية اليونسكو بشأن حماية التراث العالمي (1972)، التراث الثقافي في ثلاث فقرات:

- **الآثار:** وهي الأعمال المعمارية، وأعمال النحت والتصوير على المباني، والنقوش ومجموعة المعالم ذات القيمة الاستثنائية من وجهة نظر التاريخ، أو الفن، أو العلم؛
- **المجمّعات:** مجموعات المباني المنعزلة أو المتصلة، التي لها، بسبب عمارتها، أو تناسقها، أو اندماجها في منظر طبيعي، قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ، أو الفن، أو العلم؛
- **المواقع:** أعمال الإنسان، أو الأعمال المشتركة بين الإنسان والطبيعة، وكذلك المناطق، بما فيها المواقع الأثرية، التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة النظر التاريخية أو الجمالية، أو الإثنولوجية، أو الأنثروبولوجية.

التراث الثقافي المادي

تعرّف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، التراث الثقافي المادي بوصفه ذلك التراث "المتمثل في الآثار والمباني والأماكن الدينية والتاريخية والتحف من منشآت دينية وجنائزية، كالمعابد والمقابر والمساجد والجوامع، ومبانٍ حربية ومدنية، مثل الحصون والقصور، والقلاع والحمامات، والسدود والأبراج، والأسوار، التي تعتبر جديرة بحمايتها والحفاظ عليها بشكل أمثَل، لأجيال المستقبل. ويكون علم الآثار والهندسة المعمارية والعلوم أو التكنولوجيا، هو المعيارية الواضحة لهذا التراث. ويتم الحفاظ عليها لدراسة تاريخ البشرية، حيث تُمثّل الركيزة الأساسية للأفكار التي يمكن التحقّق من صحتها وصلاحيتها بدلاً من استنساخها أو استبدالها[31].

التراث الثقافي غير المادي (التراث الحي)

يشير مفهوم التراث غير المادي إلى الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات التي تتوارثها المجتمعات جيلاً عن جيل.[32]

(31) http://www.unesco.org/new/ar/cairo/culture/tangible-cultural-heritage/

(32) انظر تعريف التراث غير المادي في نص المادة (2) من اتفاقية اليونسكو الخاصة بصون التراث غير المادي (2003).

منهجية التقرير

يستند هذا التقرير إلى بحوث ميدانية استقصائية، أجرت خلالها "مواطنة" لحقوق الإنسان، تحقيقاً مستفيضاً في تسع محافظات يمنية[33]. وكانت هذه المحافظات شهدت انتهاكات واعتداءات طالت أعياناً وممتلكات ثقافية فيها، ومعظمها أعيان ذات قيمة تراثية وفنية وروحية تاريخية عظيمة.

وثقت "مواطنة" هذا التقرير في سياقات مختلفة ممتدة منذ النصف الثاني من العام 2014، ولمدة ثلاث سنوات. كانت الوقائع في هذه السياقات نتاج أنواع مختلفة وأنماط مركبة من الانتهاكات والاعتداءات التي طالت العديد من الأعيان الثقافية في اليمن. وقد تعرض ما لا يقل عن 34 موقعاً وثقتها "مواطنة"، لأنواع مختلفة من الاعتداءات، كالقصف الجوي، الهجمات البرية، التفجير، التخريب، الهدم المتعمد وإلحاق الأضرار، علاوة على تدبير أعمال عدائية من جوار هذه الأعيان الثقافية أو الاستخدام المتعمد لها لأغراض عسكرية مباشرة.

وفي أثناء الزيارات الميدانية، تمكن فريق وحدة البحث في "مواطنة" من جمع شهادات لأشخاص كانوا شهود عيان على تلك الانتهاكات التي استهدفت هذه الأعيان الثقافية. ومن بين الذين أدلوا بشهاداتهم، موظفون رسميون وأفراد كانوا يقطنون بجوار تلك الأعيان أو يرتادونها لممارسة شعائرهم. وتشمل أبحاث هذا التقرير أكثر من (76) مقابلة على مدار ما يزيد عن ثلاث سنوات. وثّق فريق "مواطنة" هذه المقابلات أثناء تنفيذه لزيارات ميدانية، وتمكن من توثيق أكثر من شهادة لكل واقعة اعتداء طالت هذه الممتلكات الثقافية.

لم تقدم "مواطنة" أي مقابل مالي أو عيني لمن أدلوا بشهاداتهم، وقد تم إخفاء هوية عدد ممن أدلوا بشهاداتهم في أجزاء من هذا التقرير حرصاً على سلامتهم.

وفي ترتيبها للوقائع المعروضة في التقرير، اعتمدت "مواطنة" إيراد المواقع الأثرية المرتبطة بتاريخ اليمن القديم أولاً، ثم المعالم المرتبطة بالحقب التاريخية التي تليه. ولأغراض التقرير، قدمت "مواطنة" نبذة تاريخية عن كل الممتلكات الثقافية التي وثقتها، وذلك بالعودة إلى مراجع تاريخية وأكاديمية موثوقة ومعتمدة.

(33) المحافظات التسع التي شهدت فيها المعالم الأثرية والممتلكات الثقافية انتهاكات هي: أمانة العاصمة، عدن، تعز، حضرموت، مأرب، لحج، أبين، الجوف والمحويت.

الملخص التنفيذي

شكّل استهداف الممتلكات الثقافية والآثار أحد مساحات الاتفاق لكافة الأطراف المتحاربة في اليمن. إذ يحضر التدمير الذي طال الآثار والمعالم التاريخية والمباني الأثرية والدينية، بوصفه أبرز مظاهر انزلاق البلاد إلى هاوية حرب بلا قرار؛ حرب أتت على كل شيء ولم تدخر بعيداً، حياة اليمنيين وممتلكاتهم، بما في ذلك ماضيهم الضارب في القِدَم، ومتّحدهم الثقافي. وبالمثل، طالت أضرار الحرب الذاكرة الجمعية لليمنيين، المتمثلة بتراثهم التاريخي وأسلوب بنائهم الفريد الظاهر في حصونهم وقلاعهم الشاهقة، وأبراجهم العالية، وزخارفهم الأصيلة على جدران أماكن العبادة وزواياها.

ومنذ اندلاع النزاعات المسلحة المتتالية منذ منتصف العام 2014[34]، شهدت الأعيان الثقافية في اليمن، أنماطاً مختلفة ومتعددة من الانتهاكات والاعتداءات. وقد طالت هذه الانتهاكات العديد من المعالم الأثرية والمباني التاريخية والمتاحف. كما أخذت هذه الانتهاكات أشكالاً مختلفة، كالقصف الجوي، والهجمات البرية، والتفجير، والتخريب والهدم وإلحاق الأضرار، علاوة على تدبير أعمال عدائية من جوار هذه الأعيان الثقافية، أو الاستخدام المتعمّد لها لأغراض عسكرية مباشرة. وإضافة لذلك، تعرضت بعض الممتلكات الثقافية لانتهاكات مركبة؛ فمنها ما تعرض للقصف الجوي والبري والاستخدام لأغراض عسكرية وحتى الإتلاف وإلحاق الضرر.

تشاركت كافة أطراف النزاع الانتهاكات والاعتداءات على الممتلكات الثقافية. وأدّت تلك الاعتداءات إلى إلحاق أضرار هائلة ببعض هذه الممتلكات، وصلت إلى حدّ نسف معلمين دينيين في تعز (قبة السودي- قبة الرميمة) على يد جماعة متطرفة تنشط في مناطق تخضع لسلطات حكومة الرئيس هادي.

خلال الفترة التي شملها هذا التقرير، وثقت "مواطنة" لحقوق الإنسان، تعرّض (15) موقعاً تاريخياً وأثرياً، كانت تستخدم بعضها جماعة أنصار الله (الحوثيون)، تعرضت لهجمات جوية مباشرة شنّتها مقاتلات التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات. من بين تلك المواقع، مدينة براقش التاريخية والبوابة الشمالية لسد مأرب القديم.

وألحقت هجمات جوية متكررة لطيران التحالف، أضراراً متفاوتة بمبانٍ تاريخية في مدينة صنعاء القديمة. وقد كانت أولى الغارات الجوية التي استهدفت صنعاء القديمة، المدرجة على لائحة التراث العالمي[35]، في 12 يونيو/ حزيران 2015، وآخرها في 20 سبتمبر/ أيلول 2016- حسب الوقائع التي وثقتها "مواطنة" في سياق هذا التقرير. كما طالت الغارات الجوية لمقاتلات التحالف العربي، مواقع تاريخية أخرى، كحصن كوكبان الشهير بسوره ذي البناء الفريد. ولم تكن المعالم الدينية بمنأى عن صواريخ طائرات التحالف؛ فقد تعرض جامع الهادي في صعدة لأضرار كبيرة إثر غارتين جويتين نفذهما طيران التحالف يومي السبت والأحد 9 و10 مايو/ أيار 2015؛ ويعتبر جامع الهادي أحد أبرز المعالم الدينية في مدينة صعدة القديمة وأكثرها أهمية على المستوى الديني هناك. إضافة لذلك، هاجمت مقاتلات التحالف العربي أعياناً ثقافية أخرى، بينها المتحف الحربي بمدينة عدن في 15يوليو/ تموز 2015. وكان نفس المتحف تعرض لهجوم بري سابق شنته قوات عسكرية تتبع جماعة أنصار الله (الحوثيين) وحليفها السابق، الرئيس السابق علي عبدالله صالح. إذ قصفت هذه القوات المتحف بقذائف مدفعية أثناء اقتحامها لمديرية كريتر في منتصف أبريل/ نيسان 2015، قبل أن تستولي عليه وتتمركز بداخله.

(34) شهدت الأوضاع الأمنية والعسكرية في اليمن منذ العام 2014، تفاقماً كبيراً كان لجماعة أنصار الله (الحوثيين) دور كبير في اندلاع العديد من النزاعات المسلحة، خاصة مع استيلائها على محافظة عمران المتاخمة للعاصمة اليمنية صنعاء لمزيد من التفاصيل انظر:
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/7/16/%D8%B3%D9%82%D9%88%D8%B7-%D8%B9%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%88%D8%B5%D8%B9%D9%88%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A2%D9%84%D8%A7%D8%AA

(35) /http://www.unesco.org/new/ar/doha/culture/world-heritage

في المقابل، شنت جماعة أنصارالله (الحوثيون) وقوات الرئيس السابق صالح، هجمات برية بالدبابات والمدفعية، استهدفت معالم أثرية ومباني تاريخية ومتاحف. وقد خلفت هذه الهجمات دماراً واضحاً في تلك المعالم الأثرية. ففي يوم 28 مارس/ آذار 2015، استهدفت دبابة تابعة لجماعة أنصارالله (الحوثيين) قصردارالحجرفي مديرية الحوطة، عاصمة محافظة لحج. وقد أسفرت الهجمة عن تدمير أجزء كبيرة من القصر. ومنذ ما يزيد عن ثلاث سنوات، تركزت العديد من الهجمات البرية التي نفذتها جماعة أنصارالله (الحوثيون) وقوات تتبع الرئيس السابق صالح، على معالم أثرية في مدينة تعز. ومدينة تعز معروفة بجوامعها التاريخية الشهيرة ذات القباب المزخرفة ومناراتها العالية. وفي الساعة 4:30 من يوم الأربعاء 17 يونيو/ حزيران 2016، تعرض جامع ومدرسة الأشرفية التاريخي لقصف مدفعي مفاجئ من قبل جماعة أنصارالله (الحوثيين). استهدف القصف المنارة الشرقية للجامع وأدى إلى إحداث فجوة كبيرة في وسط المنارة. ولجماعة أنصارالله (الحوثيين) الرصيد الأعلى في استخدام الأعيان الثقافية لأغراض عسكرية، وتنفيذ أعمال عدائية منطلقها بعض الحصون التاريخية والمواقع الأثرية. ففي 16 أغسطس/ آب 2014، سيطر مقاتلو الجماعة على مدينة براقش الأثرية واستخدموها لأغراض عسكرية بحتة. وقبل انسحابهم منها، مطلع شهر أبريل/ نيسان 2016، زرعوا تخوم المدينة الأثرية بالألغام.

وتعرضت ممتلكات ثقافية أخرى للهدم والتخريب على يد جماعات متشددة؛ ففي يوم الجمعة 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، استهدفت سيارة مفخخة الجهة الجنوبية الغربية لمدينة شبام- حضرموت التاريخية، أدى إلى تضرر حوالي 240 منزلاً طينياً[36]، بعضها تضررت بصورة جسيمة وأخرى طفيفة.

وفي عدن، هاجم أفراد متشددون ينتمون لجماعة «أنصار الشريعة»، معبد الهندوس التاريخي؛ حيث جاء أولئك الأفراد على متن ثلاث عربات عسكرية، وقاموا باقتحام المعبد، وتحطيم التماثيل واللوحات التي كان يحويها. ولم تسلم كنائس مدينة عدن من اعتداءات تمثّلت في تحطيم الكثير من مقتنياتها من التماثيل والأيقونات، على يد جماعة أنصارالله (الحوثيين). كما تعرض أزيد من (15) موقع ومعلم أثري وتاريخي في المدينة، إما للاستخدام لأغراض عسكرية مباشرة، أولتنفيذ عمليات عسكرية من داخل هذه الأعيان أو من جوارها والاحتماء بها.

(36) https://ar.unesco.org/silkroad/silk-road-themes/world-heritage-sites/mdyn-shbm-lqdym-lmswr

التوصيات

إلى كافة أطراف النزاع في اليمن:

- على كافة أطراف النزاع في اليمن اتخاذ كافة الإجراءات والتدابير اللازمة لتجنيب الممتلكات والأعيان الثقافية أي ضرر أو دمار.
- على جميع الأطراف المتنازعة عدم استخدام الأعيان الثقافية لأغراض عسكرية، والتوقف فوراً عن تدبيروشن أعمال عدائية من داخل المواقع والمعالم الأثرية أو من جوارها.
- إجراء تحقيقات شفافة ومحايدة في مزاعم الانتهاكات الجسيمة لقوانين الحرب، بما في ذلك وقائع الاعتداءات على الأعيان والممتلكات الثقافية، والإعلان عن هذه التحقيقات ومحاسبة المسؤولين عن هذه الوقائع.
- ضرورة الالتزام بقواعد القانون الدولي الإنساني، خاصة اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية وبروتوكولاتها، وكذلك اتفاقيات جنيف وبروتوكولاتها المعنية بحظر الهجمات الموجهة ضد الممتلكات والأعيان لثقافية.
- تدريب الأفراد العسكريين على حماية الممتلكات الثقافية وعدم المساس أو العبث بها، وتضمين إجراءات التعامل مع الممتلكات الثقافية في الأدلة التوجيهية للجيش و الوحدات العسكرية.
- تمييز الممتلكات الثقافية بعلامات مميزة بحسب المادة (6) من اتفاقية لاهاي.

إلى جماعة أنصار الله (الحوثيين):

- إيقاف العمليات العسكرية التي تستهدف أعياناً وممتلكات ثقافية.
- عدم استخدام الأعيان الثقافية لأغراض عسكرية وإصدار أمر بمنعه، والتوقف عن إجراء الأعمال العدائية من داخل هذه الأعيان، وعدم ممارسة أية نشاطات أمنية وعسكرية فيها وتفادي الاحتماء بها.
- احترام قوانين الحرب، والالتزام بمبدأ التمييزبين الأعيان الثقافية وبين الأهداف العسكرية المشروعة، خاصة تلك الهجمات التي تؤدي إلى خسائر في الممتلكات الثقافية ولا تتناسب مع أي ميزة عسكرية متوقعة.
- إيقاف أعمالها العدائية التي تستهدف الممتلكات الثقافية والمعالم الدينية فوراً.

إلى جماعة أنصار الشريعة وتنظيم القاعدة:

- إيقاف أعمالها العدائية التي تستهدف الممتلكات الثقافية والمعالم الدينية فوراً.
- التوقف فوراً عن توجيه الأعمال الانتقامية التي تطال معالم دينية.

إلى القوات العسكرية اليمنية تحت قيادة الرئيس عبدربه منصور هادي والجماعات المسلحة التي تتبعه (جماعة أبي العباس في تعز- والمقاومة الشعبية في باقي المناطق اليمنية):

- إلزام التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات بضرورة توفير معلومات تفصيلية عن الأهداف العسكرية المقصودة من الغارات التي استهدفت أعياناً ثقافية. كما يجب إتاحة المعلومات بصورة علنية، والضغط لتقديم تعويضات في حال تبين وقوع تجاوزات.
- إيقاف شن هجمات برية على الممتلكات والأعيان الثقافية بالمخالفة للقانون الدولي الإنساني.
- منع استخدام الأعيان الثقافية لأغراض عسكرية، وعدم اتخاذ أي تدابير عدائية تكون الأعيان الثقافية منطلقها، أو ممارسة أية أعمال عسكرية بالجوار منها.
- إيقاف الأعمال العدائية التي تستهدف الممتلكات الثقافية والمعالم الدينية فوراً.

إلى دول التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات:

- ضرورة الالتزام بقواعد القانون الدولي الإنساني، بما في ذلك حظر الهجمات التي تستهدف الأعيان الثقافية، والتي لا تميز بينها وبين الأهداف العسكرية المشروعة، خاصة تلك الهجمات التي تؤدي إلى خسائر في الممتلكات الثقافية ولا تتناسب مع أية ميزة عسكرية متوقعة.
- اتخاذ كافة التدابير الممكنة التي من شأنها تقليص حجم الأضرار اللاحقة بالأعيان الثقافية، والتي ينبغي أن تشمل إصدار إنذارات فعالة مسبقة قبل الهجمات قدر الإمكان.
- تفعيل آلية للتحقيق في الغارات الجوية التي استهدفت الأعيان الثقافية بصورة مباشرة، حتى في غياب أية أدلة على وقوع انتهاكات لقوانين الحرب.
- ضرورة نشر أية معلومات حول الأهداف العسكرية المقصودة في الغارات الجوية التي طالت الممتلكات الثقافية، وكذا التعريف بجميع الدول المشاركة في تلك الغارات.
- الإعلان عن نتائج التحقيقات بغرض اتخاذ الإجراءات التأديبية، وتفعيل مسألة المتابعات القضائية عند وقوع انتهاكات أو جرائم حرب.
- تقديم التعويضات الملائمة فوراً إلى الجهات المعنية، عن كافة الأضرار التي أُلحقت بالممتلكات الثقافية.

إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة:

- إن اتفاقية لاهاي 1954 تسند مسؤولية تنفيذ أحكامها إلى القوى الحامية، المكلفة بحماية مصالح أطراف النزاع، وإلى منظمة اليونسكو، وفقاً لأحكام الاتفاقية في المواد 21،22، 23.
- على اليونسكو ومجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، دعم إنفاذ اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية وبروتوكولاتها، واتفاقيات جنيف وبروتوكولاتها، وحثّ الأطراف المتنازعة على عدم استهداف الممتلكات والأعيان الثقافية أو تعريضها للخطر.

إلى الدول المصدرة للأسلحة، خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، فرنسا وإيطاليا:

- وقف صفقات بيع الأسلحة إلى أطراف النزاع في اليمن، لإمكانية استخدام هذه الأسلحة في تنفيذ هجمات على ممتلكات وأعيان ثقافية قد ترقى إلى جرائم حرب.
- التحقيق في الهجمات التي استهدفت أعياناً ثقافية ويُرجّح أنها تمت بأسلحة مصنعة في أي من الدول الآنفة الذكر.

إلى فريق الخبراء البارزين بشأن اليمن:

- التحقيق في الهجمات التي شنتها أو تسببت بها جميع أطراف النزاع على الممتلكات الثقافية في اليمن.

الإطار القانوني

يسري القانون الدولي الإنساني، والذي يعرف أيضاً بقوانين الحرب، على النزاع المسلح الدائر في اليمن. إذ تخضع الأعمال العدائية بين الأطراف المتحاربة في النزاع اليمني، لكافة المبادئ والقواعد التي يتضمنها القانون الدولي الإنساني، وكذا القوانين العرفية للحرب. وبالنظر إلى طبيعة النزاع المتأجج في اليمن، والذي تشتبك فيه دول التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات والقوات النظامية التابعة للرئيس عبدربه منصور هادي من جهة، مع تكوينات مسلحة غير حكومية ممثلة بحركة أنصارالله (الحوثيين)، فإن هذا النزاع يُصنّف بوصفه نزاعاً مسلحاً غير دولي[37].

ويبحث هذا التقرير في الانتهاكات والهجمات التي استهدفت الأعيان الثقافية (الممتلكات الثقافية) في اليمن، منذ اندلاع الحرب في منتصف العام 2014. فقد أخذت هذه الهجمات والاعتداءات أنماطاً مختلفة في استهدافها للأعيان الثقافية، من القصف الجوي، إلى الاشتباكات البرية، والتفجير، والتخريب وإلحاق الضرر، فضلاً عن الاستخدام المتعمد لهذه الأعيان الثقافية لأغراض عسكرية مباشرة.

يُلزم القانون الدولي الإنساني وقوانين الحرب العرفية، أطراف النزاع المسلح، بوجوب حماية الممتلكات الثقافية واحترامها باعتبارها "التراث الثقافي والروحي للشعوب"[38]. وتأتي اتفاقية لاهاي- 1954، الأولى من بين اتفاقيات اليونسكو المتعلقة بالتراث الثقافي، باعتبارها الأداة الدولية الأساسية لحماية الممتلكات الثقافية في النزاعات المسلحة. وقد صادقت اليمن على اتفاقية لاهاي الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية خلال النزاع وبرتوكولها الأول، في السادس من فبراير سنة 1970. وتُلزم هذه الاتفاقية كافة الأطراف باحترام الممتلكات الثقافية الكائنة، سواء في أراضيها أو أراضي الأطراف السامية المتعاقدة الأخرى، وذلك بامتناعها عن استعمال هذه الممتلكات أو الوسائل المخصصة لحمايتها أو الأماكن المجاورة لها، مباشرة، لأغراض قد تعرضها للتدمير أو التلف في حالة نزاع مسلح، وبامتناعها عن أي عمل عدائي إزاءها.

وأكدت ديباجة اتفاقية لاهاي على أن "الأضرار التي تلحق بممتلكات ثقافية يملكها أي شعب كان، تمس التراث الثقافي الذي تملكه الإنسانية جمعاء، فكل شعب يساهم بنصيبه في الثقافة العالمية". والأعيان الثقافية بطبيعتها، أعيان مدنية لا يمكن تعويضها في حال تعرضها لأي ضرر، فضلاً عن أن الأثر الذي يخلفه دمار الأعيان الثقافية، لا يعود بالخسارة فقط على بلد المنشأ، بل يطال التراث الثقافي لجميع الشعوب. ونظراً لهذه الأهمية البالغة التي تمثّلها الأعيان الثقافية، فإن على أطراف النزاع الالتزام التام بمبدأ التمييز، الذي يعد أهم ركائز القانون الدولي الإنساني. ويطالب هذا المبدأ كافة الأطراف المتحاربة بالتمييز الدائم بين الأعيان المدنية والأهداف العسكرية[39]، وذلك لما تمثله الأعيان الثقافية من أهمية قصوى للشعوب. والأعيان المدنية، هي جميع الأعيان التي ليست أهدافاً عسكرية؛ غير أن الأهداف العسكرية تتمثل في "الأعيان التي تسهم إسهاماً فعالاً في العمل العسكري، سواء بطبيعتها أو موقعها أو غايتها أو استخدامها، والتي يحقّق تدميرها تماماً أو جزئياً، أو الاستيلاء عليها، أو تعطيلها في الأحوال

(37) للمزيد من التوضيح حول تصنيف النزاع المسلح الذي تشهده اليمن، انظر: (أسئلة وأجوبة: النزاع في اليمن والقانون الدولي)، هيومن رايتس ووتش، على الرابط التالي: https://www.hrw.org/ar/news/2015/04/07/267889

(38) جاءت المادة 53 من البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقية جنيف (حماية الأعيان الثقافية وأماكن العبادة) على النحو التالي: «تحظر الأعمال التالية، وذلك دون الإخلال بأحكام اتفاقية لاهاي المتعلقة بحماية الأعيان الثقافية في حالة النزاع المسلح المعقودة بتاريخ 14 آيار/ مايو 1954، وأحكام المواثيق الدولية الأخرى الخاصة بالموضوع: أ) ارتكاب أي من الأعمال العدائية الموجهة ضد الآثار التاريخية أو الأعمال الفنية أو أماكن العبادة، التي تشكل التراث الثقافي أو الروحي للشعوب؛ ب) استخدام مثل هذه الأعيان في دعم المجهود الحربي؛ ج) اتخاذ مثل هذه الأعيان محلاً لهجمات الردع. كما نصت المادة 16 من البروتوكول الثاني من اتفاقية جنيف على أنه: «يحظر ارتكاب أية أعمال عدائية موجهة ضد الآثار التاريخية, أو الأعمال الفنية وأماكن العبادة التي تشكل التراث الثقافي أو الروحي للشعوب, واستخدامها في دعم المجهود الحربي, وذلك دون الإخلال بأحكام اتفاقية لاهاي بحماية الأعيان الثقافية في حالة النزاع المسلح والمعقودة في 14 أيار/ مايو 1954.

(39) اللجنة الدولية للصليب الأحمر، دراسة حول القانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدة 7.

السائدة في حينه، ميزة عسكرية مؤكدة"[40].

وتوفر اتفاقية لاهاي حماية عامة على جميع الممتلكات الثقافية، وتحمّل مسؤولية حمايتها كافة أطراف النزاع، بحيث تلزمهم بضمان حماية الممتلكات الثقافية الموجودة في الإقليم محلّ العمليات العسكرية. إذ لا يجوز لأطراف النزاع استخدام الممتلكات الثقافية أو الأماكن المجاورة لها مباشرة لأغراض قد تعرضها للتدمير أو التخريب. كما تحظر أية أعمال عدائية إزاء الممتلكات الثقافية إلا في الحالات التي تستوجبها الضرورات الحربية القهرية[41]. ولا يجوز لأطراف النزاع الاستيلاء على الممتلكات الثقافية أو تدميرها أو إلحاق أضرار بها عن عمد، ويجب أن تضع حداً لأعمال السرقة أو النهب أو التخريب التي تستهدف تلك الممتلكات[42].

وتُلزم اتفاقية لاهاي كافة الأطراف باحترام الممتلكات الثقافية الكائنة، سواء في أراضيها أو أراضي الأطراف السامية المتعاقدة الأخرى، وذلك بامتناعها عن استعمال هذه الممتلكات أو الوسائل المخصصة لحمايتها أو الأماكن المجاورة لها، مباشرة لأغراض قد تعرضها للتدمير أو التلف في حالة نزاع مسلح، وبامتناعها عن أي عمل عدائي إزاءها.

وفي الوقائع المعروضة تفصيلاً في هذا التقرير، وجدت "مواطنة" لحقوق الإنسان، أن الدمار واسع النطاق الذي حاق بالممتلكات الثقافية اليمنية من قبل كافة أطراف النزاع ، يعد انتهاكاً صريحاً للحظر الذي تقتضيه قوانين الحرب فيما يخص استخدام الأعيان الثقافية لأغراض عسكرية أو إقامة أهداف عسكرية بجوارها[43]، مما قد يعرضها للتدمير. حيث لم تظهر الأدلة على أن ذلك الاستخدام للأعيان الثقافية، الذي وضعها في مواجهة مباشرة مع أفعال الأضرار والتدمير، كان يستوفي شروط الضرورة العسكرية. لكن من الواضح أن أطراف النزاع لم تولِ المواقع الأثرية أي اهتمام وفقاً لمعايير القانون الدولي الإنساني، الأمر الذي أدى إلى تعرض العديد من الممتلكات الثقافية للدمار بتلك الصورة الفادحة.

كما ينص القانون الدولي الإنساني، على أنه لا يجوز لأطراف النزاع اتخاذ أية تدابير انتقامية من شأنها الإضرار بالممتلكات الثقافية، مثل المباني المخصصة لأغراض دينية أو فنية أو علمية أو تربوية أو خيرية[44]. فضلًا عن حظر ومنع أي شكل من أشكال السرقة أو النهب أو التبديد للممتلكات الثقافية، ووقف تلك الأعمال إذا لزم الأمر. وبالمثل، حظر أي عمل تخريبي موجّه ضد هذه الممتلكات. كما ينبغي على الدولة أن تتخذ، في نطاق تشريعاتها الجنائية، كافة الإجراءات الرامية إلى محاكمة الأشخاص والجماعات التي تخالف أحكام قوانين الحرب، أو الذين يأمرون بما يخالفها، وتوقيع جزاءات جنائية أو تأديبية عليهم، مهما كانت جنسياتهم.[45]

إن أي تجاوز لقواعد القانون الدولي لحماية الممتلكات الثقافية، يمثل انتهاكاً صريحاً للقانون الدولي الإنساني. وعليه، تتحمل أطراف النزاع، سواء كانت دولاً أو جماعات غير حكومية أو أفراد، مسؤولية مباشرة إزاء حماية الممتلكات الثقافية وعدم الإضرار بها، أو تعريضها للخطر. كما أن على أطراف النزاع دفع التعويضات جراء إضرارها

(40) البرتوكول الأول لاتفاقية جنيف، المادة: 52، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، دراسة حول القانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدتان 8 و 9؛ 52
(41) انظر المادة 4 (2-1) من "اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح".
(42) اللجنة الدولية للصليب الأحمر، دراسة حول القانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدة:40(أ)
(43) المادة: 8 من البرتوكول الثاني من «اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح».
(44) انظر المادة (4) من "اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح"؛ وأيضاً البروتوكول الأول لاتفاقية جنيف المادة: 52
(45) انظر المادة: 28 (الجزاءات) من «اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح».

بأية ممتلكات ثقافية. أما فيما يخص المسؤولية الجنائية، فقد وضع البرتوكول الثاني لـ»اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع»، قائمة بالمخالفات الجسيمة التي تتعرض لها الممتلكات الثقافية. حيث ينظر القانون الدولي لهذه الانتهاكات الجسيمة، بوصفها جرائم حرب[46].

(46) انظر المادة :15 من البروتوكول الثاني لـ"اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح".

الوقائع

الفصل الأول
آثار تاريخية قديمة

مدينة براقش الجوف

عُرفت مدينة براقش الأثرية في النقوش اليمنية القديمة المسندية، باسم «يثل». تقع المدينة في «وادي الفرضة» على الجانب الأيسر من الطريق المعبد الذي يتفرع من طريق «صنعاء– مأرب»، باتجاه وادي الجوف. وتفيد النقوش اليمنية القديمة بأن براقش (يثل) كانت مدينة مزدهرة في القرن الخامس قبل الميلاد على أقل تقدير، ضمن أبرز مدن مملكة معين (القرن السادس قبل الميلاد، حتى 150 قبل الميلاد). من عوامل ازدهار مدينة براقش أنها كانت ذات مكانة دينية مرموقة بحيث يحج الناس إلى معابدها. إضافة لذلك، اكتسبت براقش أهمية تاريخية كبيرة كونها كانت محطة رئيسية على طريق تجارة اللبان قبل الميلاد. ويذكر المؤرخون أنها ظلت أيضاً، محطة مهمّة على طريق القوافل التجارية بين اليمن والبصرة إبان الدولة العباسية ((47)).

ومع أن أكثر مباني هذه المدينة قد تعرض للهدم منذ سقوط دولة معين في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، ثم نتيجة الحملة العسكرية الرومانية في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد؛ غير أن سورها ظل صامداً إلى اليوم، بأبراجه الستة والخمسين المشيدة، التي يبلغ ارتفاع بعضها 14 متراً ((48)).

وكانت جماعة أنصارالله (الحوثيين) سيطرت على موقع براقش الأثري في منتصف أغسطس/ آب 2014. وخلال العامين 2015 و2016، أفاد شهود عيان بأن المدينة الأثرية تعرضت لقرابة عشرين غارة جوية نفذها طيران التحالف العربي الذي تقوده المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

وتعرضت المدينة الأثرية لغارة جوية في يوم الأحد 12 أبريل/ نيسان 2015، كما تعرضت لغارة جوية أخرى في يوم الأربعاء 1 يوليو/ تموز 2015، وكذلك في يوم الثلاثاء 8 أغسطس/ آب 2015، وغارة جوية ثالثة في يوم الأحد 6 مارس/ آذار 2016. وقد تسببت هذه الهجمات وغيرها، بأضرار هائلة في السور والأبراج والمعابد.

(47) أحمد جابر عفيف وآخرون: الموسوعة اليمنية/ براقش، مؤسسة العفيف الثقافية، ط1، 1992م، ص152.

(48) نفسه، ص153.

■ سور مدينة براقش التاريخية تصوير /صدام الأدور

محمد علي عبدالله الحداد (40 سنة)

وهو ضابط نقطة عسكرية، أكد بأن مدينة براقش تعرضت للقصف أكثر من مرة من قبل طيران التحالف العربي. «قصفها طيران التحالف أكثر من مرة بسبب سيطرة الحوثيين عليها. لقد استخدموها كموقع عسكري ومخازن للأسلحة، ظنّاً منهم بأن الطيران لن يقصفها. تسبب القصف بتدمير هائل في السور والأبراج والمعبد.» قال الحدّاد مؤكداً. وأضاف في سياق إفادته:

«المنطقة المحيطة ببراقش تم تلغيمها كاملة من قبل الحوثيين، لصدّ أي تقدم للمقاومة نحو المدينة. وبعد انسحابهم وسيطرة المقاومة على المدينة، تم نزع الألغام». كما أشار إلى أن مقاتلي جماعة أنصار الله (الحوثيين) استحدثوا مقبرة لدفن قتلاهم جوار مدينة براقش الأثرية. وأضاف: «يوجد حالياً في هذه المقبرة المستحدثة ما يقارب 25 قبراً، وقد وضع الحوثيون الزهور والأعشاب الخضراء عليها.»[49].

نائف صالح حيدر (34 سنة)

شاهد عيان آخر، أكد بدوره أن جماعة أنصار الله (الحوثيون) سيطروا على مدينة براقش الأثرية في مديرية مجزر، منذ أغسطس/ آب 2014، «عندما تواجدوا في نقطة الصفراء على الخط الإسفلتي الواصل بين مديرية مجزر (التابعة لمحافظة مأرب) ومحافظة الجوف». وأضاف حيدر: «منذ بداية «عاصفة الحزم» حتى فترة ليست ببعيدة، تعرضت المدينة للقصف من قبل الطيران السعودي والإماراتي أكثر من مرة في أوقات مختلفة. أعتقد بأن أكثر من عشرين غارة استهدفت المدينة»[50].

وعن الأضرار الناجمة عن استهداف مدينة براقش الأثرية، قال حيدر: «التدمير طال أجزاءً كبيرة من السور وأبراج الحراسة والمعبد داخل المدينة، بالإضافة إلى الملحقات الحديثة الموجودة خارجها، مثل: البقالة، غرفة الحراسة الخاصة بالجنود، مظلّة وموقف السيارات الذي تم تخصيصه للفرق الأثرية التي كانت تنقب في المدينة قبل العام 2006». أما عن الوضع الراهن للمدينة، فيؤكد حيدر أن قوات وجماعات مسلحة تتبع حكومة الرئيس هادي، يستخدمونها موقعاً عسكرياً، منذ خروج مقاتلي أنصار الله (الحوثيين) منها مطلع أبريل/ نيسان 2016.

(49) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع محمد علي الحداد، تاريخ 25اغسطس/ آب 2016.

(50) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع نايف صالح حيدر، تاريخ 25 أغسطس/ آب 2016.

البوابة الشمالية لسدّ مأرب القديم

سد مأرب هو أحد أقدم السدود في العالم. يعود تاريخ إنشائه إلى عهد دولة سبأ (1200 ق. م– 275 ق. م). بدأ تشييد السدّ في حوالى القرن الثامن قبل الميلاد. واستمر تطوير بنائه وتوسيعه حتى اتخذ شكله النهائي والكامل بجميع مرافقه ومصارفه، في القرن الخامس قبل الميلاد[51].

بُنِيَ السد، الذي كان يروي ما يقارب 98000 كيلومتر مربع، من أحجار تم اقتطاعها من صخور الجبال. نُحتت الأحجار بدقة لتكون متطابقة، ووضعت بعضها فوق بعض، وثُبتت بمادة الجبس. واستخدمت في بنائه قضبان من النحاس والرصاص يقدر طول الواحد منها بـ16 متراً، وقطره حوالى 4 سنتيمترات. تم إدخال هذه القضبان في ثقوب الحجارة كمسامير لربط الصخور ببعضها، وذلك لمنح السد قوة وثباتاً أمام أخطار الزلازل والسيول العنيفة.

يعتبر سد مأرب واحداً من أرقى السدود من الناحية الهندسية. إذ قام مهندسون بمعاينة طبيعة الأرض قبل إنشاء السد، ثم بنوا عليها المخطط الهندسي، وهو عبارة عن حائط حجري ضخم بُني على زاوية منفرجة، في منطقة تسمى «مربط الدِّمْ»[52] عند مخرج السيل من الوادي. يمتد هذا الحائط الحجري من الجنوب إلى الشمال على مسافة 650 متراً، وله فتحات وأبواب تُفتح وتُغلق حسب الحاجة لمرور الماء منها في «المسايل» المتصلة بها، لريّ الحقول والبساتين والمزارع[53]. وينظر اليمنيون إلى سدّ مأرب باعتباره رمز حضارتهم التليدة وتاريخهم المجيد.

في الشهور الأولى من الحرب التي شنها التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات، تعرضت البوابة الشمالية لسدّ مأرب لقصف جوي. أفاد شهود عيان بأنه في حوالى الساعة 2:30- 2:40 من مساء يوم السبت 31 مايو/ أيار 2015، تعرضت البوابة الشمالية (المصرف المائي الشمالي) من السد للتدمير، نتيجة غارة جوية نفذها طيران التحالف. ألحقت هذه الغارة خراباً كبيراً ببوابة السد، وألحقت بها أضراراً بالغة، فيما كان أفراد مسلحون و اليات عسكرية تتبع جماعة أنصار الله تتمركز عند البوابتين الشمالية والجنوبية للسد القديم .

(51) أحمد جابر عفيف وآخرون، مرجع سابق، ص510.

(52) «الدِّمْ» هو القطّ في اللهجة اليمنية، والإشارة هنا إلى الأسطورة التي تفيد بأن الفئران حفرت تحت جدار سدّ مأرب وتسببت بانهياره، ما استدعى ربط قطّ في المكان للقضاء عليها.

(53) أ.د. محمد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، 2009، الطبعة الأولى.

البوابة الشمالية لسد مأرب القديم تصوير / صدام الأدور

محمد علي (40 سنة)

وهو ضابط في الجيش، بدأ شهادته على هذه الغارة بوصف موجز للوضع الذي كان سائداً حينها. قال محمد: «أنا أسكن في منطقة المنين، على الطريق المؤدي إلى سد مأرب. بيتي يبعد عن البوابتين الشمالية والجنوبية للسد حوالي ستة كيلومترات جنوباً باتجاه المنين. منذ أبريل/ نيسان الماضي (2015) حتى نهاية سبتمبر/ أيلول، دارت هنا اشتباكات قوية بين جماعة أنصار الله (الحوثيين) والقوات الحكومية والمقاومة. طبعاً أغلب أهل المنطقة نزحوا؛ غادروا منازلهم وتركوا مزارعهم بسبب الاشتباكات في منطقتي المنين والفاو، اللتين كانتا تحت سيطرة الحوثيين، في حين كانت المقاومة تتمركز في المدينة والمجمّع الحكومي. أنا وأسرتي لم نغادر المنزل.»

وأضاف محمد:

«يوم السبت، الموافق 31 مايو/ أيار 2015، وكان الوقت بعد الغداء بين الساعة 2:30 و2:40 قبل العصر، سمعنا الطيران الحربي يحلّق، ثم فجأة، سمعنا صوت انفجار شديد. قمت وصعدت إلى سقف منزلي لأشاهد أين قصف الطيران بالضبط، فشاهدت الدخان يتصاعد من جهة البوابة الشمالية، وعرفت أنه قد تم استهدافها أو استهداف سيارة أو شيء ما بجانبها»[54].

وتابع: «لم أتمكن من الذهاب إلى المكان والتأكد من تفجير البوابة إلا بعد خروج (الحوثيين) من المنين ومن السد في أكتوبر/ تشرين الثاني 2016. عندها رأيت البوابة مدمرة ومتضررة ضرراً بالغاً بسبب الضربة الجوية ذلك اليوم».

علي سالم (33 سنة)

شاهد عيان آخر من سكان المنطقة، على الدمار الذي ألحقته هذه الغارة الجوية بالبوابة الشمالية للسدّ. ومثل محمد علي، بدأ علي سالم شهادته بتعريف موجز عن الظروف التي عاناها سكان المنطقة خلال فترة القتال فيها. قال علي: «أنا أسكن في منطقة المنين، على ضفاف وادي سد مأرب، الذي تمر منه مياه السد عندما تُفتح بوابته التحويلية. ورغم الاشتباكات والحرب التي دارت هنا، في جهة الفاو وجهة المنين، لم نترك منازلنا ومزارعنا ومواشينا، فهي مصدر دخلنا ورزقنا الأساسي. لزمنا منازلنا وأعمالنا، ولم نتدخل في تلك الاشتباكات، رغم فقداننا الكثير من الأصدقاء والجيران والأقارب»[55].

وأضاف: «عندما اقتربت الاشتباكات من السد، عرفت أنه لا بد من ضرر وخسارة سندفعها نحن، وأن شيئاً في السدّ سيتضرر، لأن الحرب لا ترحم. كانت المنطقة تحت سيطرة (الحوثيين)، ولاحظت وقتها تواجد أفراد ومقاتلين وآليات، أطقم وسيارات خاصة، عند البوابتين الشمالية والجنوبية وحول السد القديم. كنا دائماً نسمع أصوات الاشتباكات وإطلاق النار من هناك. ثم جاء اليوم الذي سمعت فيه وشاهدت انفجاراً قوياً ناجماً عن قنبلة أسقطتها طائرة من طائرات التحالف العربي. استهدفت الطائرة البوابة الشمالية/ المصرف الشمالي لسد مأرب القديم، الذي كان يربط السدّ مع البوابة الجنوبية. نحن، أهل المنطقة، نسمّيه «مربط الدِّم»، وكان هذان المصرفان، الشمالي والجنوبي، هما ما تبقى من آثار السد القديم. الطيران لم يقصف فقط البوابة الشمالية، بل قصف بأكثر من غارة، مستهدفاً وادي السد والطريق المؤدي إلى السد، وكذلك المظلة الحديدية فوق منتزه السد، والديوان أو المضاف الخاص التابع للحكومة».

(54) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع محمد علي، تاريخ 19 أبريل/ نيسان 2016.

(55) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع علي سالم، تاريخ 19 أبريل/ نيسان 2016.

موقع البيضاء (نشق) الجوف

أخذت هذه المدينة اسمها من أحجارها البيضاء الناصعة، وهي مدينة تاريخية تقع بمديرية المصلوب في محافظة الجوف.

عُرفت قديماً باسم «نشق»، وظهر اسمها لأول مرة في التاريخ في العام 680 ق.م[(56)]. تقول مصادر تاريخية إنها كانت مدينة مستقلة، كما كانت من أشهر حواضر دولة معين (القرن السادس قبل الميلاد، حتى 150 قبل الميلاد).

البيضاء، أو «نشق»، مدينة غنية بالنقوش والآثار، وتتمتع بفن معماري فريد ومطرّز بمختلف الأشكال الهندسية. أما سورها فقد تهدم ولم يتبقَ منه سوى البوابة.

هذه المدينة التاريخية تشهد، منذ العام 2015، اشتباكات مسلحة مستمرة بين جماعة أنصار الله (الحوثيين) و«المقاومة الشعبية» الموالية للرئيس هادي. بسبب الاشتباكات المستمرة، لم تتمكن «مواطنة» من زيارة هذا الموقع الأثري للاطلاع عن كثب على ما لحق به من أضرار.

وكان مقاتلو جماعة أنصار الله (الحوثيين) سيطروا على موقع البيضاء ضمن سيطرتهم على محافظة الجوف في منتصف العام 2015، لكنهم انسحبوا منه في 19ديسمبر/ كانون الأول 2015، على إثر هجمات مقاتلي «المقاومة». وتسيطر «المقاومة الشعبية»، حتى كتابة هذا التقرير، على 70% من مديرية المصلوب، ومن ضمنها موقع البيضاء الأثري. رغم ذلك، لا يزال المكان قريباً من مناطق سيطرة جماعة أنصار الله (الحوثيين) في المديرية، إذ لا يبعد عن مركز المديرية سوى 1.5 كيلومتر تقريباً. ولهذا، مازالت الاشتباكات العنيفة تدور في المنطقة.

عدد من الأهالي الذين تحدثوا لـ«مواطنة»، قالوا إنهم كانوا في الماضي يشتكون من إهمال الجهات الرسمية وغيابها عن القيام بواجبها تجاه المعالم التاريخية والأثرية في محافظة الجوف، لكن ذلك كله، أصبح «هيّناً» بالقياس إلى ما تتعرض له تلك المعالم اليوم- على حد تعبيرهم.

(56) انظر: ويكيبيديا على الرابط: https://de.wikipedia.org/wiki/Naschq

محمد علي جعمل (30 سنة)

من أهالي المنطقة ويعمل مدرساً، قال إن «قوات المقاومة دخلت إلى مدينة الحزم، عاصمة محافظة الجوف، وإلى مركز مديرية المصلوب، وبعض مناطق المديرية، ومنها موقع البيضاء وموقع السوداء الأثريان، واستخدمت الموقعين عسكرياً».

وأضاف جعمل: «في البداية تمركز الحوثيون في موقع البيضاء لأن مواقعهم العسكرية في منطقة الهيجة لا تبعد كثيراً عن البيضاء من جهة الشمال. ومع اشتعال المواجهات بينهم وبين المقاومة، انسحبوا من الموقع في نهاية العام 2015. هذه الجهة من أسخن الجبهات في المديرية، حيث يتبادل الطرفان القصف بالأسلحة الرشاشة ومدافع الهاون والكاتيوشا بشكل مستمر»[57].

وواصل جعمل شهادته متذكّراً الزمن الذي كان موقع البيضاء الأثري مزاراً للسياح الأجانب والمواطنين اليمنيين على حدّ سواء، قبل عشرين سنة. استرجاعه لذلك الزمن لم يخل من إبداء الأسف على قلة اهتمام الدولة بموقع البيضاء، وغيره من مواقع الجوف الأثرية التي تعود إلى عصر الدولة المعينية.

وتابع: «يقع موقع البيضاء غرب المصلوب، مركز المديرية، وهو موقع أثري لا يزال مدفوناً تحت التراب. لا يظهر منه سوى جزء من سور الموقع من الجهة الغربية، ولا يزال قائماً». وفي سياق أسفه على ما تتعرض له المواقع الأثرية، قال جعمل: «مرّت مراحل على هذه المواقع الأثرية تعرضت فيها للتخريب والنهب والسرقة، من قبل مواطنين وبعض مشايخ المنطقة؛ كانوا يحفرون بشكل عشوائي من أجل الحصول على الذهب، بدون أن يشعروا بأنهم يهدمون ويخربون تاريخ وحضارة عمرها آلاف السنين. الدولة لم تفعل حينها شيئا لحماية هذه الآثار. والآن أيضاً، تلحق بالمواقع الأثرية أضرار بالغة جداً. وبسبب الاشتباكات وتحويل المواقع الأثرية إلى مواقع حربية، وتحويل المنطقة بشكل عام إلى منطقة عسكرية، لا يستطيع المواطنون الدخول إليها».

ياسين (اسم مستعار) (45 سنة)

تربوي آخر أدلى بشهادته عن الأضرار التي لحقت بموقع (نشق) الأثري. بدأ ياسين حديثه بالاعتداد بإنسان اليمن القديم، الذي استطاع أن «يبني حضارة»، بينما «لا يستطيع إنسان اليوم إقامة بنيان مماثل رغم الإمكانيات المتوفرة». وعمّا لحق بالموقع من أضرار، قال إن حجم الأضرار لا يزال غير معروف بعد، بسبب استمرار المواجهات في المنطقة. «لا أحد يمكنه الاقتراب من المكان.» قال ياسين قبل أن يسترسل في شهادته:

«كان (الحوثيون) متمركزين في موقع البيضاء منذ سيطرتهم على المحافظة. خرجوا من موقع البيضاء وعدة مناطق بمديرية المصلوب في نهاية العام 2015، وبعدها سيطرت المقاومة على موقعي البيضاء والسوداء الأثريين، إضافة لبعض مناطق المديرية. يحتوي موقع البيضاء على أبنية وأعمدة لا تزال مدفونة تحت الرمال، ما عدا جزء بسيط من السور من الجهة الغربية للموقع. ومنذ دخول المقاومة إلى هذا الموقع وانسحاب (الحوثيين) إلى منطقة الهيجة واملاحة، يتبادل الطرفان القصف بجميع أنواع الأسلحة المتوسطة والثقيلة. منذ بداية العام 2016 حتى الآن. لم تتوقف المواجهات والقصف، خصوصاً في أوقات الليل؛ أفزعوا نساءنا وأطفالنا، وأقلقوا منامنا بالقصف والاشتباكات. وفي النهار نهجع، لا نسمع شيئاً»[58].

(57) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان، مع محمد علي جعمل، تاريخ 17 يناير/ كانون ثاني 2017.

(58) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 25 يناير/ كانون الثاني 2017.

نادر (اسم مستعار) (40 سنة)

من أهالي المديرية الذين نزحوا من مناطق المواجهات، لا يستطيع أن يقيّم حجم الضرر الذي لحق بموقع البيضاء الأثري، نظراً لاستمرار القتال. لكنه يبدي أسفه أيضاً، لعدم تقدير أطراف النزاع لأهمية المواقع الأثرية.

في شهادته لـ«مواطنة»، قال نادر: «في شهر ديسمبر/ كانون الأول 2015، سيطرت المقاومة على منطقة البيضاء واتخذت الموقع الأثري والتاريخي موقعاً عسكرياً.» وأوضح في نفس الوقت، أن مقاتلي أنصار الله (الحوثيين) كانوا يستهدفون مواقع المقاومة بالقصف من موقع البيضاء الأثري، كونه مرتفعاً ويطل على مناطق مديرية المصلوب.

وتابع: «موقعا البيضاء والسوداء من المواقع الغنية بالآثار والأحجار القديمة. لا تزال آثارها مدفونة تحت التراب، وتعتبر مزارات لكل من يأتي إلى المصلوب لأنها تحكي تاريخ وأصالة الدولة المعينية القديمة. لكن للأسف وُجدت هذه الآثار عند ناس لا يعرفونها ولا يُقدّرونها؛ فقد كان الناس يعبثون ويحفرون في هذه المواقع، واليوم أصبحت مواقع عسكرية وحربية من قبل جماعات مسلحة. المقاومة حولت موقع البيضاء الأثري إلى موقع حربي تقصف منه مواقع الحوثيين في الهيجة واملاحة بالقذائف المختلفة، والحوثيون يقصفون موقع البيضاء بجميع أنواع الأسلحة المتوسطة والثقيلة. مواجهات وقصف متبادل بين الطرفين يومياً، وفي الليل تتصاعد حدة المواجهات. لم نسمع أن أحداً من الطرفين تقدم في هذه الجبهة. لم يتقدم أحد الطرفين على الآخر، سوى في تدمير آثارنا وحضارتنا وتخويف المواطنين ومنع المزارعين من زراعة أراضيهم. المواطنون لا يستطيعون الاقتراب من منطقة البيضاء أو الهيجة، بسبب المواجهات. لا نستطيع الذهاب إلى هناك»[59].

(59) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 25 يناير/ كانون الثاني 2017.

موقع السوداء (نشان) الجوف

أخذت «السوداء» اسمها هذا في العصور المتأخرة، نسبة لأحجارها السوداء، وهو أسلوب معروف في التسمية لدى قبائل اليمن. عُرفت المدينة في النقوش اليمنية القديمة بـ«نشان»، ووصفت بأنها مدينة عظيمة، ولها سور عتيد. تقع (نشان) في مديرية المصلوب بمحافظة الجوف، ويعود تاريخ بنائها إلى القرن الثامن ق. م (715 ق.م). في طورها الأول، كانت مستقلة وذات سيادة، ثم انضمّت إلى الدولة المعينية، وحققت حضوراً تجارياً ودينياً وصناعياً كبيراً. وفي الطور الأخير، انضمّت مع باقي الدولة المعينية، إلى مملكة سبأ((60)).

كما عُرفت المدينة بوصفها واحدة من أهم المدن المعينية في صناعة الأواني المعدنية، حيث عُثر فيها على بقايا خامات لمعادن مختلفة. لكنّ الأهمية الكبرى للمدينة تأتي من كونها مدينة المعابد؛ إذ تحتفظ بآثار عدة معابد وُصفت بأنها من أجمل المعابد الأثرية في عموم الجزيرة العربية. في هذه المدينة الأثرية، توجد مجموعة المعابد التي اشتهرت بـ«بنات عاد»، وأطلال مبانيها ذات الأعمدة الكثيرة، مازالت باقية حتى اليوم. جزء من هذه الأعمدة طمرته الرياح تحت الرمال، وما بقي منها فوق الأرض يزيد طوله عن مترين ونصف. وتتميز هذه الأعمدة بأن كل واحد منها منحوت من صخرة واحدة، وعليها تصاوير لأشكال آدمية وحيوانية وهندسية متنوعة.

تقع منطقة السوداء الأثرية شرق المصلوب، على الطريق الرئيسي الترابي المؤدي إلى مركز المديرية، وعلى بعد حوالى 700 متر، ولا يوجد أي تجمع سكاني جوارها.

كلا طرفي الحرب تبادلا السيطرة على موقع السوداء الأثري؛ جماعة أنصار الله (الحوثيون) سيطرت عليه منذ منتصف العام 2015، ثم انسحب مقاتلوها منه في 19 ديسمبر/ كانون الثاني 2015. بعد ذلك، سيطر عليه مقاتلو المقاومة الشعبية التابعة للرئيس هادي، لكن المواجهات لم تتوقف؛ إذ يشهد الموقع عمليات حربية واشتباكات عنيفة ما زالت مستمرة حتى اليوم.

وأثناء زيارة «مواطنة» إلى محافظة الجوف، وجدت أن معظم المواطنين هناك متحفظون كثيراً تجاه الإفادة أو الإدلاء بأي معلومات تتعلق بموضوع هذا التقرير. ذلك أن مقاتلي المقاومة ينتشرون في المنطقة ويفرضون سيطرتهم فيها. ولأن المواجهات لا تزال مستمرة، لم تتمكن «مواطنة» من زيارة الموقع الأثري والاطلاع عن قرب، على حجم الأضرار التي لحقت به.

(60) مدينة السوداء المعينية.. تاريخ يمني في مهب الريح، على الربط:http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2014/6/20/%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8E%D8%B9%D9%8A%D9%86%D9%8-A%D8%A9-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%8A%D9%85%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%87%D8%A8%D9%91-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%8A%D8%AD

محمد علي جعمل (30 سنة)

المدرس في مديرية المصلوب، أدلى بشهادته أيضاً بشأن موقع السوداء. غير أنه لا يعرف «تماماً» حجم الأضرار التي لحقت بهذا الموقع الأثري، بسبب استمرار المواجهات. «لا نستطيع الوصول إلى المكان ومعرفة ما حدث ويحدث من دمار.» قال جعمل، وأضاف: «موقع السوداء الأثري يقع شرق المصلوب، وهو على شكل تباب (تلال) مرتفعة. ولأنها اختفت تحت أكوام التراب والأحجار، تعتبر السوداء أو «نشان»- اسمها المعيني- من المواقع الأثرية المهمّة، ومن أبرز المعالم الأثرية في الجوف. لقد تم تحويلها، مع الأسف، إلى موقع حربي وعسكري لقوات تابعة للمقاومة. ومن المؤكد أن هناك من ينهب الآثار التي في الموقع، ناهيك عما يلحق به من أضرار نتيجة القصف بصواريخ الكاتيوشا وغيرها، والتي شاهدناها أكثر من مرة تستهدف السوداء»[61].

محمد مبروك عياش (50 سنة)

عضو المجلس المحلي بمديرية المصلوب، بدأ شهادته بالحديث عن تحويل موقع السوداء الأثري إلى موقع عسكري. قال عياش: «في ديسمبر/ كانون الأول 2015، سيطرت المقاومة التابعة للرئيس هادي على مناطق كثيرة من مديرية المصلوب، ومنها موقع السوداء الأثري، الذي حولوه إلى موقع عسكري. الحوثيون عندما كانوا مسيطرين على المصلوب، لم يستخدموا السوداء موقعاً عسكرياً طول فترة تواجدهم».

ويسترسل عياش في سياق شهادته متحدثاً عمّا تعنيه منطقة السوداء الأثرية للأمة اليمنية؛ «تعتبر تاريخ وحضارة أجدادنا القدماء، وتمثل لنا فخراً وعزة. حتى فترة التسعينات كان السيّاح الأجانب يأتون لزيارة السوداء والبيضاء في مديريتنا، المصلوب، ويلتقطون الصور لهذه المواقع الأثرية. لقد كانت من المدن الرئيسية لدولة معين، القديمة. لا يزال الكثير من أبنيتها وأعمدتها قائماً، لكنه مدفون تحت الرمال».

وبشأن الأضرار التي لحقت بالموقع الأثري جراء استمرار القتال واستخدامه كموقع عسكري، يؤكد عياش على ما ورد في الشهادات السابقة؛ «لا نعرف حجم الأضرار التي لحقت به منذ أن دخلته المقاومة وحولته إلى موقع عسكري. القصف يطال الموقع من جانب الحوثيين بالمدافع والكاتيوشا. وهو لا يزال مليئ بالآثار القديمة الثمينة، من تماثيل برونزية ومرمرية وذهبية... مدفونة تحت الرمال. لم تقم الدولة بالتنقيب فيها ورفع الرمال عنها. في السابق، كان المواطنون يحفرون في الموقع لكي يحصلوا على الذهب أو الخرز، وذلك بسبب الفقر والبطالة في المنطقة. كانوا يعبثون بالآثار بسبب عدم الوعي، وغياب الدولة عن هذه الحضارة وهذا التاريخ. وبعد سيطرة المقاومة على موقع السوداء الأثري وتحويله إلى موقع عسكري، لم يعد أحد يستطيع الاقتراب منه. المقاومة تقصف مواقع الحوثيين في الساقية والغيل بالكاتيوشا والمدافع، وأولئك يردون بقصف السوداء أيضاً، بصواريخ الكاتيوشا. لذلك لا نعرف حجم الأضرار التي لحقت بهذا الموقع الأثري[62]».

(61) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع محمد علي جعمل، تاريخ 17 يناير/ كانون الثاني 2017.

(62) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع محمد عياش، تاريخ 17 يناير/ كانون الثاني 2017.

الفصل الثاني
مدن على لائحة التراث العالمي

مدينة شبام حضرموت

شبام- حضرموت، بلدة أثرية يُعتقد أن أول ذكر لها ورد في نقوش المسند ضمن مملكة حضرموت. غير أن مدينة شبام في صورتها الحالية، ترجع إلى القرن الـ16 الميلادي. تعتبر المدينة أحد أقدم وأفضل نماذج التنظيم المدني الدقيق المرتكز على نظام البناء العمودي، وتعود تسميتها بـ«مانهاتن الصحراء» إلى مبانيها البرجية الشاهقة المنبثقة من الصخور. وقد أدرجت لجنة التراث العالمي لليونسكو مدينة شبام-حضرموت على قائمة التراث العالمي في العام 1982.

وكانت لجنة التراث العالمي لليونسكو، المجتمعة في مدينة بون الألمانية، قد أعلنت في يوليو / تموز 2015، عن إدراج مدينة شبام- حضرموت وسورها في اليمن، على قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر.[63] وفي نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، أدى انفجار سيارة مفخخة في الجهة الجنوبية للمدينة إلى تضرر أكثر من 200 منزل. وكان تنظيم الدولة الإسلامية أعلن مسؤوليته عن هذا الهجوم في وقت لاحق[64]

مدينة شبام - حضرموت تصوير/ محمد سامي

(63) https://news.un.org/ar/story/2015/07/230892

(64) https://www.alaraby.co.uk/politics/2015/11/20/%D9%85%D9%82%D8%AA%D9%84-%D8%AC%D9%86%D8%AF%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D9%87%D8%AC%D9%88%D9%85-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%86%D9%82%D8%B7%D8%A9-%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D8%AD%D8%B6%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%AA

عبدالله عوض عبد (53 سنة)

موظف في الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية، كان شاهد عيان في واقعة الانفجار. قال عبدالله: «في الساعة 6:20 من صباح يوم الجمعة، الموافق 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، حدث انفجار في الجهة الجنوبية الغربية لمدينة شبام التاريخية. نزلت لتفقد الوضع وشاهدت المصابين والمنازل التي تضررت. وفي اليوم التالي، تم تكليف لجنة من قبل السلطة المحلية لحصر الأضرار التي لحقت بالمدينة. ضمّت اللجنة عضواً من الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية، وعضواً من السلطة المحلية، ومعلّمين من خبراء العمارة الطينية، وبمشاركة منظمات المجتمع المدني في المدينة. استغرق عمل اللجنة أسبوعين، حصرت خلالها 240 منزلاً أصيبت بأضرار متفاوتة ما بين جسيمة ومتوسطة وخفيفة. وقد تم ترميم 10 منازل بتمويل من وكيل محافظة حضرموت لشؤون مديريات الوادي والصحراء».[65]

حسن عيديد طه عيديد (46 سنة)

مدير الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية، أدلى بشهادته أيضاً بشأن هذه الواقعة. قال عيديد: «في الساعة 6:30 من صباح يوم الجمعة، الموافق 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، أبلغني أحد العاملين بالهيئة بأن انفجاراً شديداً حدث جنوب المدينة. نزلت بنفسي في اليوم التالي، لتفقد الأوضاع وشاهدت أضرار المنازل. تم تشكيل لجنة من قبل السلطة المحلية أشركت فيها منظمات المجتمع المدني، لحصر الأضرار التي لحقت بالمدينة. وقد تضرر من الانفجار 240 منزلاً بأضرار جسيمة ومتوسطة وخفيفة. تم ترميم 10 منازل من ذوات الأضرار الجسيمة المستعجلة، بتمويل من السلطة المحلية بوادي حضرموت، وتبقى 10 منازل بحاجة إلى تدخل سريع».

واسترسل مدير الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية في وصف مدينة شبام وحضورها التاريخي؛ «مدينة شبام إحدى أشهر مدن حضرموت، وحاضرة في التاريخ، منذ أن توفرت فيها أسباب الاستقرار والتمدن. كانت سوق حضرموت التجاري، ترد إليها البضائع من ظفار وغيرها على قوافل الجمال التي كانت تناخ على دمنتها، كما يأتيها غيرها من البحر عبر «بئر علي» أولاً ثم الشحر. تعتبر مدينة شبام حضرموت من أبرز المدن التاريخية في اليمن. وهي واحدة من ثلاث مدن يمنية مسجلة ضمن قائمة التراث العالمي، منذ سنة 1982، مع صنعاء وزبيد، وذلك لما تميزت به من طراز معماري فريد. وفي سنة 2007، تحصلت مدينة شبام على جائزة الآغاخان العالمية في فن العمارة الإسلامية».[66]

(65) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع عبدالله عوض، تاريخ 4 مايو/ أيار 2016.

(66) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع حسن عيديد، تاريخ 4 مايو/ أيار 2016.

حارة القاسمي بمدينة صنعاء القديمة

تقع صنعاء وسط الهضبة اليمنية، على ارتفاع يقدربـ2150 متراً، على امتداد السفح الغربي لجبل نقم. قديماً، لم تكن المدينة تحتل سوى مساحة صغيرة، لكن مساحة العمران فيها تزايدت في العهود الإسلامية واتسعت دائرة سورها. يعود أول ذكر لمدينة صنعاء في النقوش اليمنية القديمة إلى القرن الميلادي الأول[(67)]، بينما نقل بعض الإخباريين أن مدينة صنعاء كانت حاضرة مأهولة منذ حوالى 2500 عام[(68)]. وقد كان للوجود العثماني في مرحلتيه الأولى (1539- 1634) والثانية (1872-1911) الأثر الأبرز في تشييد مدينة صنعاء القديمة بالصورة التي هي عليها اليوم.

في مؤتمرها العام الذي انعقد في مدينة بلغراد عام 1980، اتخذت منظمة اليونسكو قراراً ببدء حملة دولية لصون مدينة صنعاء القديمة. وفي سنة 1986، أدرجتها على قائمتها للتراث العالمي.

مدينة صنعاء القديمة تصوير / أحمد العامري

(67) أحمد جابر عفيف وآخرون، مرجع سابق،ص586.

(68) نفس المرجع

وبستان القاسمي هو أحد البساتين التي تشتهر بها مدينة صنعاء التاريخية. يقع في الجهة الغربية الجنوبية من صنعاء القديمة، وتفصل «السائلة» بينه وبين بستان السلطان. وهو كغيره من بساتين صنعاء القديمة، تتزاحم حوله المنازل من جميع الاتجاهات.

وكانت «مواطنة» لحقوق الإنسان، وثقت غارة جوية وقعت عند الساعة 2:00 من فجر الجمعة 12يونيو/ حزيران 2015. حيث استهدف طيران التحالف العربي الذي تقوده السعودية والإمارات، حارة القاسمي بغارة جوية سقط فيها خمسة ضحايا، بينهم امرأة وفتىً في السادسة عشرة من العمر. دمرت هذه الغارة أربعة من منازل مدينة صنعاء التاريخية، وتسببت بأضرار جسيمة لحقت بمنازل أخرى مجاورة. ولم يثبت لـ«مواطنة» وجود أهداف عسكرية في المكان الذي استهدفته الغارة. كما تجدر الإشارة إلى ما وثقته منظمة العفو الدولية عن استهداف طائرات التحالف العربي لمنازل المواطنين في مدينة صنعاء القديمة.[69]

وبعد حوالى شهر على حدوث هذه الواقعة، أعلنت لجنة التراث العالمي لليونسكو، التي اجتمعت في مدينة بون الألمانية في 2 يوليو/ تموز 2015، إدراج مدينة صنعاء القديمة ومدينة شبام وسورها على قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر[(70)]. وقد جاء في الخبر المنشور في موقع أخبار الأمم المتحدة، عن لجنة التراث العالمي:

«تعرضت «صنعاء القديمة» إلى أضرار جسيمة جراء الاشتباكات المسلحة التي تشهدها البلاد. فقد تعرض حي القاسمي المجاور لحديثة «مقاشم» بالقرب من قناة السائلة، إلى خراب كبير. كما لحقت الأضرار بجامع المهدي الذي يعود بناؤه إلى القرن الثاني عشر وبعدد من المنازل المجاورة له.»

حارة القاسمي - صنعاء القديمة تصوير/ بشير السماوي

(69) https://www.amnesty.org/ar/latest/news/2015/07/yemen-airstrike-analysis-shows-saudi-arabia-killed-scores-of-civilians/

(70) http://www.un.org/arabic/news/story.asp?NewsID=23978#.WbaVH7KGOM8

علي أحمد (40 سنة)

كان شاهد عيان على هذه واقعة قصف طيران التحالف العربي لحارة القاسمي، وقد أدلى بالشهادة التالية:
«في يوم الجمعة (25شعبان) 12 يونيو/ حزيران 2015، الساعة 2:00 بعد منتصف الليل، سمعنا أصوات الطائرات وهي تحلّق، وبعد ذلك تم قصف حارتنا، حارة القاسمي، تحديداً «المقشامة»[71]. كانت الضربة قوية، واهتز بيتنا. خرجنا لنشاهد ما حدث، فوجدنا أربعة بيوت قد انهارت في نفس اللحظة. لاحظنا ضربة القنبلة وقد انفجرت في أساس البيت المتوسط بين البيوت المنهارة، كان اتجاه القنبلة من خلف البيوت، وسقط في بيارة البيت (حفرة الصرف الصحي). استشهد في هذه الحادثة خمسة أشخاص، بينهم طفل وامرأة، كانوا متواجدين في تلك البيوت، وجميعهم من أسرة واحدة. وأثناء محاولة إخراج الجثث، سمعنا صوت الطائرة مجدداً، فهربنا معتقدين أنها سوف تضرب المكان مرة أخرى. وبعد تلاشي صوتها، عدنا لمتابعة إخراج الجثث».
وعن الأضرار التي لحقت بالمباني التاريخية، قال علي: «بعض البيوت تشققت بسبب الانفجار، وتم هدمها لإعادة بنائها، وهي بيوت مبنية من الطين على الطراز القديم»[72].

أروى جابر (28 سنة)

وصفت في شهادتها لـ«مواطنة» هول الفاجعة التي وقعت عليها؛ هي ربة بيت وفقدت ابنها وزوجها جراء هذه الغارة، قالت أروى: «أنا كنت في بيت أبي، لأني كنت متشائمة من هذا المكان (بيت زوجها) لقربه من العُرْضي (مبنى أثري تم تحويله إلى مقر لوزارة الدفاع). كنت أذهب إلى بيت زوجي في الصباح، وأعود إلى بيت أبي في المساء، لأني لا أستطيع النوم هناك. بعد منتصف الليل، حين بدأت الغارات الجوية، سمعت ثلاث إلى أربع ضربات في أماكن مختلفة. الضربة الثانية هي التي استهدفت بيتنا. صوت الانفجار لم يكن قوياً. كنت أظن أن الضربات بعيدة عن بيتنا، وبعد 10 دقائق، اتصل بي بعض الجيران وزوج أختي؛ أخبروني بأن بيتنا انهدم وتساوى مع الأرض. بعدها اتصلت بأخي وخالي. لم أصدّق ما حدث، لأني لم أتوقع أن يتم استهداف صنعاء القديمة»[73].

(71) كلمة يمنية تستخدم في بعض اللهجات الشعبية و تدل على موضع لزراعة الفجل وبعض الخضروات.
(72) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع علي أحمد، تاريخ 3 أبريل/ نيسان 2016.
(73) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع أروى جابر، تاريخ 3 أبريل/ نيسان 2016.

حـــــارة الفليحي

صنعاء القديمة

وفي ليل الجمعة، 18سبتمبر/ أيلول 2015، ألقت إحدى طائرات التحالف العربي الذي تقوده السعودية والإمارات، قنبلة استهدفت منزل المواطن حفظ الله العيني، في حارة الفليحي بصنعاء القديمة. قُتل 13 شخصاً جراء هذه الغارة، 10 منهم من أسرة واحدة. ولم يثبت لـ «مواطنة» وجود أهداف عسكرية في المكان المستهدف.

■ *حي الفليحي - صنعاء القديمة تصوير/ بشير السماوي*

عبدالله محمد المسوري (27 سنة)

موظف في مصلحة الضرائب، وهو أحد سكان حارة الفليحي، قال في شهادته عن هذه الواقعة:

«في الساعة 11:30 من ليل الجمعة 18 سبتمبر/ أيلول 2015، كنت، كعادتي، جالساً في غرفتي أشاهد التلفزيون. كنا نسمع أصوات تحليق الطائرات، وفجأة سمعت صوت انفجار شديد قريباً من المنزل. أغمضت عينيّ لثواني، ثم فتحتهما وأنا لا أكاد أرى شيئاً، من شدة الغبار والظلام أمامي. كانت النوافذ وأعمدتها قد انكسرت. ذلك اليوم كان أشبه ما يكون بيوم المحشر. سكان المنطقة كانوا نائمين، وبعد الانفجار خرج الجميع لائذين بالفرار، بملابسهم التي كانوا يرتدونها أثناء النوم. كانت النساء والأطفال يصرخون تائهين؛ لا يعلمون إلى أين يذهبون أو ماذا يفعلون. كانوا مرعوبين من أن تباغتهم ضربة أخرى. لم يكن هناك أي تجمع لمسلحين أو أي موقع عسكري بالقرب منا.»[74].

(74) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع عبدالله المسوري، تاريخ 3 أبريل/ نيسان 2016.

منزل في مدينة صنعاء القديمة

وثقت «مواطنة» وقوع هجمة جوية في الساعة 2:00 من فجر السبت 20 سبتمبر/ أيلول 2016، حيث استهدف طيران التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات، مبنى جهاز الأمن القومي بـ11 قنبلة. انفجرت أربع فقط، من القنابل التي سقطت على المبنى، بينما سقطت إحداها على جامع البكيرية الأثري، الذي يبعد حوالى 30 متراً عن مبنى جهاز الأمن القومي ولم تنفجر. كما سقطت قنبلة أخرى على منزل المواطن محمد المسوري (75 سنة)، أحد منازل مدينة صنعاء التاريخية، ويبعد حوالى 200 متر عن مبنى جهاز الأمن القومي. هذه القنبلة لم تنفجر أيضاً.

قتل في هذه الواقعة محمد المسوري، الذي انشطر نصفين جراء سقوط كتلة القنبلة عليه مباشرة، بينما أصيبت زوجته باختناق. أما البيت، فقد اخترقت القنبلة كل طوابقه حتى استقرت في الجراش.

المنازل القريبة من مبنى جهاز الأمن القومي، تضررت أيضاً؛ إذ تشققت جدران بعضها، وتكسر زجاج النوافذ والقَمَريات وخرجت من مكانها، خاصة منازل المواطنين: رسام، الأكوع، الزرقة والظفاري.

في شهادته على هذه الواقعة، قال يوسف أحمد عبدالكريم (21 سنة)، وهو أحد جيران المسوري الضحية:

«حلقت الطائرة بصوت مرعب. كنت سامراً في الدكان التابع للبيت الذي بجوار بيت المسوري. نحن قريبون من مباني جهاز الأمن القومي، تقريبا 200 متر (وأشار بيده إلى نهاية الحي حيث يبدو أحد مباني جهاز الأمن القومي). عند حوالى الساعة 2:00 والنصف فجراً، سمعنا صوت انفجار قوي هزّ المنطقة. كانت قنبلة ألقتها طائرة على مبنى جهاز الأمن القومي. بعدها بأقل من خمس دقائق، سمعنا صوت القنبلة الثانية، التي أصابت بيت المسوري؛ لم تنفجر هذه القنبلة، وإلا فإن البيوت المجاورة، ومن ضمنها المكان الذي أنا فيه الآن، كانت جميعها ستنتهي. تتالت بعدها القنابل؛ خمس قنابل ألقيت كلها على مبنى جهاز الأمن القومي».

ومضى يوسف في حديثه عن القنبلة التي سقطت على منزل محمد المسوري قائلاً: «كان كبيراً في السن، ولديه دكان لبيع الأكوات (المعاطف). فاجأته القنبلة إلى مرقده، ومن لطف الله أن القنبلة لم تنفجر، وإلاّ كنا وكل الجيران سنلقى مصيره. دخلت القنبلة من الجهة القبلية (الشمالية) واستقرت في الأرض بعد أن أزاحت معها كل الأدوار داخل المبنى. زوجة المسوري أصيبت بالاختناق بسبب الدخان والغبار، لكن لم تصب بضرر كبير، وهي بخير كما أخبروني».[75]

(75) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع يوسف أحمد عبدالكريم، تاريخ 20 سبتمبر/ أيلول 2016.

محمد عبدالكريم الهذيلي (25 سنة)

يسرد شهادته على هذه الواقعة أيضاً، بصورة مكثفة. قال الهذيلي: «حصل أول قارح (انفجار) في جهاز الأمن القومي. القنبلة الثانية، كانت في بيت محمد المسوري ولم تنفجر. وبعدها ستّ قنابل سقطت على جهاز الأمن القومي وجوار جامع البكيرية، ولم تنفجر. بعدها ثلاث قنابل أخرى سقطت على جهاز الأمن القومي وانفجرت. الشظايا تطايرت إلى المنازل والحارات المحيطة بالجهاز، فتضررت كلها. بعض النوافذ خرجت من أماكنها، وبعضها تكسرت. لم يتضرر أحد في هذه البيوت، لأنهم كانوا قد نزحوا منها في اليوم السابق، بعدما تلقوا تحذيرات. أما في بيت المسوري، فمات محمد المسوري؛ انقسم نصفين ولم يجدوا إحدى يديه».[76]

(76) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع محمد الهذيلي، تاريخ 20 سبتمبر/ أيلول 2016.

الفصل الثالث
معالـــم

حصن كوكبان

حصن أثري مطل على مدينة شبام كوكبان، شمال غرب العاصمة صنعاء، على مسافة 36 كيلومتراً. ورد ذكر هذا الحصن في نقوش المسند التي تعود إلى عهد مملكة سبأ (1200 ق. م– 275م). وقد ازدهرت المدينة وتم إعادة تشييد الحصن بصورة فخمة في عهد حكام الدولة اليعفرية، الذين اتخذوها عاصمة لهم خلال الفترة 997-847م[(77)]. ومع الحملة العثمانية الأولى على اليمن، قام المطهر بن شرف الدين (1572-1503م) بتعزيز بناء حصن كوكبان الذي اتخذه مقراً لحكمه، ومدينة شبام عاصمة له.

في 14 فبراير/ شباط 2016، شنّت مقاتلات التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات، غارة جوية على حصن كوكبان التاريخي، ما أدى لتدمير المبنى الأثري تدميراً كلياً. كانت بوابة الحصن تمثّل الطريق الوحيد أمام الأهالي للدخول والخروج من وإلى مدينة كوكبان، وبعد واقعة القصف، لم يستطع الأهالي إسعاف الضحايا أو النجاة بأنفسهم نتيجة لانسداد البوابة بالأنقاض. ويجدر التنويه إلى أن عدة غارات أخرى استهدفت منازل مدنيين داخل المدينة وأسفرت عن ضحايا.

(77) أحمد جابر عفيف وآخرون، مرجع سابق، ص 186.

ظافر الهمداني (60 سنة)

وهو من أهالي مدينة كوكبان، أدلى بشهادته التالية على الغارات التي استهدفت المدينة:

«سمعنا أربع غارات؛ ثلاث منهن استهدفت «القشلة»- بوابة سور مدينة كوكبان. كانت الغارة الأولى في حوالي الساعة 4:30 فجراً، وقد تعرضت بيوت بعض المواطنين للقصف أيضاً ولم نتمكن من إسعاف المصابين. كان هناك قصف على النادي الذي يبعد عن الحصن بحوالي 200 متر، حيث كان فيه قوة عسكرية تتبع أنصار الله. خرجنا في اليوم الثاني وقلنا لهم أبعدوا هذه القوة عن مدينتنا، لكنهم رفضوا.»[78]

وعن نفس الواقعة، قال أحمد (اسم مستعار) (33 سنة)

وهو مدرّس من أهالي مدينة كوكبان أيضاً:

«عند حوالى الساعة 4:20 فجراً، سمعت أصوات الطائرات وهي تحلق عن قرب. ثم سمعت صوت انفجار قنبلتين ضربتا (القشلة)- بوابة المدينة ومنفذها الوحيد. كما سقطت قنبلة أخرى على منزل أحد المواطنين، ما أدى لتدميره تماماً، وتضررت عشرة بيوت أخرى جزئياً. كان هناك موتى كثيرون وجرحى لم نستطع إسعافهم كون (القشلة) مخرج المدينة الوحيد، وكان وقتها مدمر تماماً[79].

(78) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان ظافر الهمداني، تاريخ مايو/ أيار 2016.

(79) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان شاهد عيان، تاريخ مايو/ أيار 2016.

قصر دار الحجر لحج

يُعد قصر دار الحجر أكبر وأشهر معلم تاريخي في مدينة الحوطة بمحافظة لحج. بني في العام 1926، في عهد سلطان لحج عبدالكريم بن فضل العبدلي الثاني (1918- 1947). أخذ القصر تصميم قصر باكنغهام في لندن، قصر الملك جورج الخامس، الذي استضاف فيه سلطان لحج عبدالكريم فضل ونجله «فضل»، عام 1925. أُعجب السلطان ونجله بالقصر، وعقب عودته إلى الحوطة، شرع ببناء قصره الذي يتوسط حديقة كبيرة مليئة بالأشجار. للقصر مدخلان؛ غربي وجنوبي، وأمامه توجد ساحة كبيرة لاستقبال الضيوف والوفود.

في بدايات الحرب الدائرة اليوم، كانت قوات المقاومة تتمركز في القصر عندما وصلت قوات جماعة أنصار الله (الحوثيين) وحليفهم السابق صالح في 26 مارس/ آذار 2015، إلى الحوطة، وأرادت السيطرة عليها. وفي صباح يوم السبت 28 مارس/ آذار 2015، كانت دبابة تابعة لقوات جماعة أنصار الله (الحوثيين) وصالح، قد وصلت إلى طريق سفيان، على بعد حوالى 1.5 كيلومترشمال القصر. في الساعة 10:00 من ذلك الصباح، أطلقت الدبابة عدة قذائف أصابت إحداها الجزء العلوي من القصر في الجهة الشمالية الغربية. كما تعرض القصر للكثير من نيران الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، بينها سلاح (آربي جي)، التي هاجمت بها جماعة أنصار الله (الحوثيون) وقوات صالح، القصر . وما تزال الأضرار التي تعرض لها القصر بادية للعيان حتى اليوم.

وحيد صالح سليمان (35 سنة)

كان شاهد عيان على ما حدث لقصر دار الحجر. قال وحيد:

«أنا أسكن في قصر دار الحجر، في الطابق العلوي من جهة الشمال الغربي، في الجزء الذي أصابته قذيفة الدبابة. ترجع ملكية قصر الحجر لسلاطين لحج الذين حكموا في لحج وعدن قديماً. وقد سكنت في جزء منه أنا وأسرتي منذ عام 2014، بموافقة وكيل السلاطين، بشرط ألا أغيّر أي شيء في القصر، وأن أحافظ عليه. كما سمح الوكيل لناس كثر أن يسكنوا في القصر بالشروط نفسها، كونهم لا يملكون مساكن. عندما وصلت قوات الحوثي وصالح إلى مشارف الحوطة، وبالتحديد الأطراف الشمالية وطريق سفيان، كنا نشاهد من فوق القصر الدبابة الواقفة في طريق سفيان شمالاً. وفي حوالى الساعة 9:00 من صباح يوم السبت 28 مارس/ آذار 2015، بعدما شاهدت الدبابة بوضوح من محل سكني، خفت على أولادي وزوجتي، فقمت بترحيلهم إلى قرية الكدام بمديرية تُبَن. عندما عدت في اليوم التالي، علمت من شباب المقاومة أن الدبابة أطلقت قذيفة أصابت الجزء العلوي من القصر، محل سكني. دخلت مسكني فوجدت ركام الياجور والتراب وبعض الشظايا على الأرض. قمت بإخراج الحطام، وسألت الشباب الذين كانوا موجودين أثناء انفجار القذيفة عن وقت الانفجار، فقالوا إنه وقع بعد خروجي أنا وأسرتي، وبالتحديد في الساعة 10:00، وأنهم كانوا يتناولون وجبة الفطور تحت القصر من جهة الجنوب. بعدما نظفت البيت وأخرجت الركام، غادرت البيت، لأن الدبابة التابعة لقوات صالح والحوثي كانت لا تزال في طريق سفيان ونراها بوضوح من فوق القصر»[80].

ماهر حامد صالح عرابة (32 سنة)

هو أحد سكان مدينة الحوطة، وشاهد عيان على ما تعرض له قصر دار الحجر هناك. قال ماهر:

«في الأيام الأولى من الحرب، استُخدم القصر كموقع عسكري تمركزت فيه المقاومة. أراد جنود الحوثيين وصالح الدخول إلى القصر واحتلاله. وفي الساعة 10:00 من صباح يوم السبت 28 مارس/ آذار 2015، كان شباب المقاومة فوق القصر ولديهم معدل بيكا وأسلحة رشاشة أخرى، بينما كانت دبابة تابعة لقوات الحوثي وصالح متمركزة في طريق سفيان على بعد حوالى كيلومتر شمال القصر. وقتها سمعنا انفجاراً في الطابق العلوي من القصر جهة الشمال الغربي، وامتلأ المكان بالغبار وتساقط الياجور، فعرفنا أن الدبابة قصفت القصر. وبعد ذلك كانت تصل إلى القصر طلقات رصاص وقذائف (آر. بي. جي) من جانب مقاتلي الحوثيين وصالح»[81].

(80) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع وحيد صالح ، تاريخ 9 فبراير/ شباط 2017.

(81) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع ماهر عرابة، تاريخ 11 فبراير/ شباط 2017.

قصر السلطان العبدلي لحج

يقع قصر السلطان العبدلي في مدينة الحوطة، عاصمة محافظة لحج، جنوب اليمن. شيّده عبدالكريم بن فضل العبدلي عام 1766، وهو أول من تسمى سلطاناً من «العبادل»، شيوخ لحج وعدن. تولى المشيخ بعد مقتل أبيه سنة 1742. ويقال إنه أمر بتشييد هذا القصر في ذلك العام نفسه [(82)].

وكما هو حال دار الحجر في حوطة لحج، تسكن بعض العائلات في هذا القصر منذ عام 2014، بموافقة وكيل مالكي القصر، كونها بدون مساكن، وبشرط الحفاظ على القصر وعدم إحداث أي تغيير فيه. حين دخلت قوات جماعة أنصار الله (الحوثيين) وحليفهم السابق صالح مدينة الحوطة في مطلع شهر أبريل/ نيسان 2015، تمركز بعض مقاتليها في مكتب الصحة العامة والسكان، الذي يبعد عن القصر قرابة 100 متر غرباً. وفي عصر الاثنين 13 أبريل/ نيسان 2015، هجم مجموعة من مقاتلي الجماعة على قصر السلطان العبدلي، وأخرجوا الساكنين فيه بالقوة، واستخدموه ثكنة عسكرية لهم.

(82) أحمد جابر عفيف وآخرون، مرجع سابق، ص634.

في شهادته التي أدلى بها لـ«مواطنة»، قال رشاد (47 سنة) (اسم مستعار):

«لا أتذكر تاريخ ذلك اليوم، لكني كنت في منزلي، الذي يقع خلف سور إدارة أمن لحج، جوار قصر السلطان من جهة الشرق على بعد حوالى خمسة أمتار. كان المقاتلون الحوثيين يتمركزون في مكتب الصحة العامة والسكان غرب القصر بحوالى 100 متر. وفي الساعة 4:00 من عصر ذلك اليوم، شنّ مجموعة من أولئك المقاتلين هجوماً انطلق من مكتب الصحة العامة، على القصر والحارة بأكملها. انتشروا في الحارة مطوقين القصر ودخلوه. مكثوا فيه ما يقارب شهرين، وفي الليلة الأولى كانوا يطلقون النار باستمرار في اتجاه الشرق. في ذلك اليوم أيضاً، أخرجونا من مساكننا، فخرجت أنا وأفراد أسرتي وانتقلنا إلى منزل أبي في حارة الجامع»[83].

نور الدين حسن عبدالقادر عقيل (42 سنة)

وكيل مدرسة العند، أدلى بشهادته أيضاً على هذه الواقعة، قائلاً:

«بيتي يقع في شارع العيادة بحي الزهراء، جوار القصر. سمعت انفجاراً، فخرجت من البيت لأعرف ماذا حدث. عندما فتحت باب البيت فوجئت بانتشار كبير للمقاتلين التابعين للحوثي وصالح في الشارع. سمعت صوت ابني ينادي في الشارع خائفاً من الجنود المنتشرين. كان يقول للجندي: لا تقتلني، لا تقتلني!... وهرب ابني جهة العيادة مذعوراً، وبعدها مباشرة تم احتلال القصر من قبل مقاتلي الحوثي وصالح. جعلوه ثكنة عسكرية وتمركزوا في أعلى القصر كقناصين، وهذا ما سبب ذعراً في نفوس الأهالي وكشف حرمات منازلهم، كون القصر يطل على منازل الحارة بالكامل. بعدها أجبرنا مقاتلو الحوثي وصالح على ترك منازلنا بالقوة أو الجلوس في بيوتنا كمعتقلين بدون ماء ولا غذاء. كانوا يقولون لنا: اتركوا المنازل واخرجوا أو اجلسوا في منازلكم وممنوع الخروج. وبعدها بيومين لم أستطع البقاء في المنزل، فقررت الرحيل إلى منطقة عُبَرْ لَسْلوم بمديرية تبن»[84].

(83) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 27 يناير/ كانون الثاني 2017.

(84) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع نور الدين حسن عقيل، تاريخ 30 يناير/ كانون الثاني 2017.

قلعة القاهرة تعز

تقع قلعة القاهرة في مديرية القاهرة بمدينة تعز، على رأس تلّ محاذي لسفح جبل صبِر من جهة الشمال. تطل القلعة على أحياء المدينة القديمة القريبة منها، كما توفر رؤية منظورية لكافة أحياء المدينة. لذلك، تعد من أهم المتنفسات لسكان مدينة تعز، خاصة بعد إنشاء متنزّه فيها كان يعتبر لوحة فنية بديعة.

يُرجع بعض المؤرخين بناء قلعة القاهرة إلى القرن الخامس الهجري، بينما يذهب آخرون إلى أنها بنيت في النصف الأول من القرن السادس الهجري، على يد السلطان عبدالله بن محمد الصليحي (459-439هـ/ 1066-1047م)، وأنه تم تمدينها أيام أخيه علي بن محمد الصليحي (484-458هـ/ 1091-1066م).

تضم القلعة عدة قصور، منها: دار السلطان، دار الإمارة، دار الأدب، والقلعة الحمراء. وقد أعيد ترميمها في مطلع القرن الحالي، بطريقة أخلّت كثيراً بطابعها التاريخي[(85)].

قلعة القاهرة - تعز
تصوير / أحمد الباشا

(85) فيصل سعيد فارع، مرجع سابق.

وقد ظلت قلعة القاهرة تستخدم كموقع عسكري من قبل جماعات مسلحة تتبع فصيل (أبي العباس) حتى تاريخ 17 أغسطس/ آب 2018، حيث تم تسليم القلعة للجنة الأمنية المشكلة من قبل محافظ تعز، وتم إعادة فتحها كمرفق سياحي من جديد. منذ بدء النزاع، الذي مازال مستمراً، تناوبت المقاومة الشعبية بمدينة تعزوجماعة أنصار الله (الحوثيون) استخدام هذا الموقع الأثري لأغراض عسكرية، وتعبئته بالأسلحة وتخزينها فيه. فحين كان أنصارالله (الحوثيون) يسيطرون على القلعة حتى سبتمبر/ أيلول 2016، كانوا يقصفون مدينة تعز من داخل القلعة. وبعد أن سيطرت عليها المقاومة، منذ سبتمبر/ أيلول 2016، استخدمت القلعة أيضاً لقصف مواقع تمركز أنصار الله (الحوثيين) في أطراف المدينة.

خلال الفترة من 10- 14 مايو/ أيار 2016، وثقت «مواطنة»، استهداف الطيران الحربي التابع للتحالف العربي قلعة القاهرة بـ22 قنبلة خلال 12 غارة جوية.

ونظراً للقصف الذي تعرضت له القلعة، واستخدامها لأغراض عسكرية لفترة طويلة تقارب الثلاث سنوات، فمن المحتمل أن تكون معرضة للانهيار.

طارق (اسم مستعار) (30 سنة)

كان شاهد عيان على بعض ما تعرضت له القلعة خلال هذه الحرب. قال طارق: «في بداية الحرب، سيطر الحوثيون على قلعة القاهرة مدة سنة، وكان يتم قصف القلعة من قبل المقاومة من مواقع تمركزهم في المظفر وباب موسى. ومنذ سبتمبر/ أيلول 2016، سيطرت المقاومة على القلعة. بعد أن انسحب الحوثيون إلى أطراف المدينة والجهة الغربية، أصبحوا يستهدفونها بالقذائف المدفعية والدبابات، ما ألحق بها أضراراً كبيرة».

ومضى طارق في مقارنة ما تعرضت له قلعة القاهرة من تدمير جراء قصفها بالمدفعية والدبابات، مع الدمار الذي ألحقته بها غارات الطيران الحربي التابع للتحالف العربي، مرجحاً كفة طيران التحالف في إحداث الضرر الأكبر. عن هذه الغارات قال طارق: «عند الساعة 11:00 صباحاً، بتاريخ 3 شعبان ١٤٣٧هـ، الموافق 10 مايو/ أيار 2016م، استهدفت مقاتلات التحالف العربي قلعة القاهرة بأول غارة جوية أطلقت فيها حوالى 7 قنابل. بعدها بساعتين، استهدفتها بقنبلتين أيضاً، وأدى ذلك إلى تدمير أجزاء كبيرة من القلعة تدميراً كاملاً، خاصة في الجزء العلوي. وقد استمر الطيران في استهداف القلعة منذ ذلك اليوم حتى ٧ شعبان، الموافق 14 مايو/ أيار 2016، وبشكل شبه يومي. خلال هذه الفترة، نفذ طيران التحالف حوالى ١٢ غارة جوية أطلق فيها ما يقارب ٢٢ قنبلة».

واختتم طارق شهادته بالتعريج على وضع القلعة على إثر انسحاب أنصار الله (الحوثيين) منها وسيطرة مقاتلي المقاومة الشعبية عليها. قال: «بعد انسحاب الحوثيين وسيطرة المقاومة على القلعة، كانت تخضع لسيطرة مقاتلي حزب الإصلاح، فنشبت بين الإصلاح والسلفيين اشتباكات من أجل السيطرة على القلعة، وكانت الغلبة فيها للسلفيين بقيادة أبي العباس. قلعة القاهرة موقع استراتيجي مهم، ومن يسيطر عليه يستطيع السيطرة على مدينة تعز[86]. وخلاصة القول، إن القلعة التي كان قد تم إعادة تأهيلها خلال مدة ١٣ سنة، وبمبالغ مالية مهولة، تمّ تدميرها في لمح البصر»[87].

عثمان (اسم مستعار) (45 سنة)

شاهد عيان آخر على ما تعرضت له قلعة القاهرة الأثرية بمدينة تعز. قال عثمان: «أنا من سكان الحي، وكنت شاهداً على استهداف القلعة من قبل طيران التحالف العربي الذي ألحق بها أضراراً كبيرة جداً، ودمر الجزء العلوي منها تدميراً كاملاً، وألحق أضراراً جسيمة بجزئها السفلي. كانت المقاومة الشعبية تستهدف القلعة أيضاً من مواقع تمركزها في وسط مدينة تعز منذ بداية الحرب في 2015، قبل أن تخضع القلعة منذ سبتمبر/ أيلول 2016، لسيطرة المقاومة– فصيل الإصلاح، ثم بعد ذلك، فصيل أبي العباس».

واختتم عثمان شهادته بلمحة استرجاعية لوضع القلعة الأثرية خلال فترتي حكم الرئيس إبراهيم الحمدي والرئيس علي عبدالله صالح؛ «في عام 1976 قام الرئيس إبراهيم الحمدي بتسوير القلعة مع المدينة القديمة، ومنع البناء بقربها، وأعلنها معلماً تاريخياً، ثم في عهد الرئيس علي عبدالله صالح، تم استخدام الجزء العلوي منها مقراً لمؤخرة الحرس الجمهوري، بينما كان الجزء السفلي متنزهاً لأهالي تعز، الذين لم يعودوا يجدون منذ بداية الحرب متنفساً واحداً لا يزوره الموت»[88].

(86) https://www.alaraby.co.uk/politics/2018/1/13/%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%8A%D8%AC-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%AA%D8%B9%D8%B2-%D9%88%D8%B3%D8%B7-%D8%B4%D9%83%D9%88%D9%83-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%87%D8%A7%D9%84%D9%8A

(87) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 12 فبراير/ شباط 2017.

(88) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 12 فبراير/ شباط 2017.

قصر صالة تعز

«صالة» هي منطقة أثرية قديمة، تقع إلى الشرق من مدينة تعز، وفيها بعض الآثار القديمة التي تعود إلى فترة حكم الدولة الرسولية. كما يقع في المنطقة أيضاً، قصر صالة، الذي بناه الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين (1904- 19 سبتمبر/ أيلول 1962)، الأمام قبل الأخير للمملكة المتوكلية اليمنية.

شُيّد القصر على هيئة حصن محاط بسور حجري. وكان إلى ما قبل الحرب الدائرة اليوم، يضم متحفاً صغيراً يحوي مجموعة من الآثار القديمة، وبعض الآثار التي تعود للعصور الإسلامية. كما يضم المتحف معروضات من منتجات الصناعات الحرفية التقليدية التي كانت مستخدمة في القرون الأخيرة من الألفية الثانية. وإلى ذلك، كان متحف قصر صالة يحتوي على مجموعة من الوثائق المتعلقة بأهم الأحداث الداخلية والخارجية التي كان لها تأثير في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، وهو الأمر الذي أكسبه قيمة بالغة لدى الباحثين ولدى السياح الأجانب والزوار.

مع بداية الحرب الدائرة اليوم، اتخذت جماعة أنصار الله (الحوثيون) وقوات حليفها السابق صالح، من قصر صالة ثكنة عسكرية لها ومقراً لعملياتها الحربية، بحسب معلومات أفاد بها شهود عيان. وعلى إثر ذلك، أُغلقت هذه المنطقة كونها عسكرية، وتمّ نشر نقاط التفتيش في محيط وجوار القصر، بحيث كانت أقربها لا تبعد عن القصر سوى 50 متراً تقريباً. ومنذ نوفمبر/ تشرين الثاني 2016، سيطرت المقاومة الشعبية وقوات الجيش الموالي للرئيس هادي، على محيط قصر صالة، وتبة المكلكل من الغرب والجنوب الشرقي لمنطقة صالة. أما في الاتجاهات المقابلة للقصر من الشمال والشمال الشرقي، فقد بقيت مناطق تماس بين الطرفين.

بعد ما يقارب سبعة أشهر على سيطرة مقاتلي جماعة أنصار الله (الحوثيين) وقوات حليفهم السابق صالح على قصر صالة، شنّت مقاتلات التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات، أولى غاراتها على القصر. كان ذلك عند الساعة 11:30 من صباح الخميس 22 أكتوبر/ تشرين الأول 2015، ثم تبعتها غارات جوية أخرى في أيام متفرقة، ما أدى إلى تدمير القصر بالكامل.

وقد تعذر على فريق «مواطنة» الاطلاع عن قرب على الموقع الأثري المدمر وتصويره؛ إذ منعتهم من الوصول إلى هناك، نقطة عسكرية من لواء العاصفة، التابع للجيش الموالي للرئيس هادي. كانت نقطة التفتيش على بعد 800 متر تقريباً عن القصر، وقد كان مبرر المنع هو استمرار الاشتباكات والقصف آنذاك.

قصر صالة - محافظة تعز
تصوير / أحمد الباشا

صادق علي المحيا، نائب مدير مكتب السياحة بمحافظة تعز، كان أيضاً شاهد عيان على ما تعرض له قصر صالة جراء هذه الحرب، وقد أدلى بشهادته التالية:

«كانت جماعة الحوثي وقوات صالح، منذ اللحظات الأولى لسيطرتهم على مدينة تعز في أواخر مارس/ آذار 2015، قد استخدمت قصر صالة ومحيطه ثكنة عسكرية ومحطة إمدادات عسكرية. لقد نشروا مدرعات وآليات حربية في محيط القصر وخط وادي صالة والخط المؤدي إلى منطقة حَسَنات وصبر الموادم والزيلعي– الدمنة؛ كون القصر يقع على مقربة من معسكر المكلكل الذي استخدمته جماعة الحوثي لقصف المدينة. ومع تقدم المقاومة الشعبية والجيش الوطني، في منتصف أغسطس/ آب 2015، وسيطرتهم على الأحياء الشرقية للمدينة، بدأ الحوثيون في قصف هذه الأحياء من جميع المواقع: قصر صالة، المكلكل، وتبّة السلال. ومع تزايد ضربات الحوثيين على قرى صبر الموادم وحسنات وحيّ المُجَلّية من هذه المواقع، وبالأخص من محيط قصر صالة، وهو أقرب المواقع إلى قرى جبل صبر، بدأت قوات التحالف باستهداف القصر ومحيطه. نفّذ طيران التحالف أولى غاراته على قصر صالة ومحيطه في حوالى الساعة 11:30 من صباح يوم الخميس، الموافق 22 أكتوبر/ تشرين الأول 2015، بغارتين جويتين. تسببت هاتان الغارتان في تدمير كامل المبنى الرئيسي للقصر وملحقاته: الحديقة والشذروان، وألحقت أضراراً بالمباني والمنازل المجاورة للقصر، ومنها مبنى الاتصالات. لقد تطايرت أحجار مبنى القصر على مدى واسع يصل إلى ما يقارب 300 متر، ما أدى إلى تضرر العديد من المنازل المجاورة».

وعن محتويات القصر قال المحيا: «كانت توجد في القصر العديد من المقتنيات والمخطوطات التاريخية والأواني الأثرية، وقد تعرضت للتلف نتيجة الدمار الذي لحق بالقصر، وما تبقى منها سليماً أخذه مقاتلو الحوثيين من داخل القصر إلى جهة مجهولة»[89].

وتابع: «كان القصر وجهة سياحية مهمّة، وبتدميره فقدت محافظة تعز الموارد المالية التي كان يرفدها بها. كما أن الكثير من سكان المنطقة فقدوا منازلهم، وجميعهم نزحوا إلى مناطق متفرقة، أو تشردوا بسبب فقدان عائلهم أو منازلهم أو وظائفهم. لقد تسبب القصف والحرب بحالة من الرعب والخوف لأهالي تعز عموماً، وأهالي منطقة صالة خصوصاً. هذه المنطقة تعد شرياناً رئيسياً لمناطق كثيرة منها: صبر الموادم، حسنات، الزيلعي- دمنة خدير. سكان هذه المناطق تضرّروا من قطع الطريق الرئيسي الذي كان يمدهم بالمواد الأساسية، خاصة أن أغلبهم يعتمدون على أعمال النقل (سيارات الأجرة) كمصدر دخل رئيسي لهم. أما الفلاحين من أهالي منطقة صالة، فلم يعودوا قادرين على مزاولة عملهم في الزراعة التي كانوا يعتمدون عليها في معيشتهم. هذه الأحداث أثّرت أيضاً على النسيج الاجتماعي، وتسببت في تمزّقه، وهو الأمر الذي سيصعب معالجته خلال العقد القادم، كون الضرر كبيراً ومتعدد الجوانب».

(89) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع صادق المحياء، تاريخ 15 مارس/ آذار 2017.

قلعة السنارة موقع العبلاء صعدة

بنيت قلعة السنارة، أوقلعة الإمام الهادي شرف الدين سنة 1880[(90)]، في منطقة رحبان- العبدين، إلى الجنوب من مدينة صعدة بحوالى 10 كيلومترات. تعتبر من أهم القلاع والمعالم الأثرية والسياحية بمحافظة صعدة. وقد اتخذها الإمام يحيى حميد الدين، ومن بعده ابنه أحمد، في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين سجناً للمعارضين السياسيين[(91)].

وإلى أهميته التاريخية، فقد كان موقع العبلاء الأثري يمثل بالنسبة لسكان المنطقة، مزاراً سياحياً يؤمّونه للتّنزّه والترويح عن أنفسهم وعائلاتهم، وذلك نظراً لموقعه أعلى جبل العبلاء، المطل على مدينة صعدة شمالاً.

بعد أن استولت جماعة أنصار الله (الحوثيون) على محافظة صعدة، في منتصف العام 2011، سيطروا على جبل العبلاء، واستخدموا القلعة موقعا عسكرياً، منذ 9 يوليو/ تموز 2011. ولأن الموقع يطل على منطقة دماج، التي تبعد حوالى 1.5 كيلومتر جنوباً، فقد استخدمه أنصار الله (الحوثيون) في حربهم مع جماعة الشيخ يحيى علي الحجوري هناك (السلفيين).

في 5 أكتوبر/ تشرين الأول 2015، قام طيران التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات، بقصف أبراج الاتصالات المنصوبة أعلى جبل العبلاء، ما ألحق بالقلعة التاريخية أضراراً طفيفة.

وقد تعذر على فريق «مواطنة» التقاط صور عن قرب، للأضرار التي لحقت بالقلعة، نظراً لوجود نقطة تابعة لجماعة أنصار الله (الحوثيين) تحت الموقع الأثري من الجهة الشمالية الغربية، وبسبب وجود موقع عسكري تابع للجماعة أيضاً، أعلى الجبل بالقرب من المباني الأثرية.

(90) أحمد جابر عفيف وآخرون، مرجع سابق، ص 529.

(91) نفسه.

عبدالله (45 سنة) (اسم مستعار) لشاهد عيان على استهداف قلعة السنارة الأثرية

ويسكن جوار الموقع. في شهادته التي أدلى بها لـ«مواطنة» على هذه الواقعة، قال عبدالله[92]:

«في يوم الاثنين، 5 أكتوبر/ تشرين الأول 2015، قصف طيران التحالف جبل العبلاء، مستهدفاً أبراج اتصالات التابعة لشركات «يمن موبايل»، «سبأفون» و«إم تي إن»، القريبة من القلعة التاريخية بحوالى 50 متراً. تسبب القصف بأضرار طفيفة للقلعة نتيجة تطاير الشظايا. وبعد حوالى أسبوع من تلك الغارة، تم استهداف مضاد الطيران المنصوب في الجهة الشرقية من الجبل، والذي يبعد عن القلعة بحوالى 70 متراً، بغارة جوية نفذها طيران التحالف في حوالى الساعة 4:00 فجراً. الشظايا وصلت إلى مبنى القلعة، وكذلك إلى جوار منزلي. تسببت هاتان الغارتان بانقطاع شبكة الاتصالات، والحمد لله لم يصب أحد بأذى. لكن الخوف والهلع، خصوصاً بين الأطفال والنساء، تسبب في نزوح البعض من مساكنهم القريبة من الموقع، خوفاً من تعرضه للقصف مرة أخرى. ومنذ حوالى خمسة شهور، عادت الكثير من تلك الأسر التي نزحت»[93].

ماهر (اسم مستعار) (41 سنة)

شاهد عيان يسكن بالقرب من موقع السنارة الأثري. قال ماهر في شهادته على ما حدث لهذا الموقع:

«فجر الاثنين، 5 أكتوبر/ تشرين الأول 2015، كنت نائماً بمنزلي في رحبان، واستيقظت على صوت انفجار شديد. صعدت إلى سطح المنزل وكان الطيران ما يزال يحلق في المنطقة، بينما الغبار ورائحة البارود تأتي من جهة قلعة العبلاء. أردت أن أتصل بأحد الجيران، فإذا الاتصالات منقطعة. وفي الصباح رأيت الموقع والأضرار التي خلفها القصف؛ آثار شظايا وحجارة تطايرت وحفرت آثارها في جدران القلعة. توقفت شبكات الاتصالات، وسقط برج اتصال تابع لشركة «يمن موبايل» بالكامل. بعد عدة أيام عادت الشبكات للعمل ماعدا «يمن موبايل» تأخرت، لأنها تدمرت بالكامل. استمر تحليق الطيران حوالى نصف ساعة، وكان المضاد المتواجد هناك، في الموقع القريب من القلعة، يطلق النار في الهواء قبل أن يهدأ الوضع»[94].

(92) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 18 يناير/ كانون الثاني 2017.
(93) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 19 يناير/ كانون الثاني 2017.
(94) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 20 يناير/ كانون الثاني 2017.

موقع القفل صعدة

تم تشييد مبنى القفل التاريخي إبان حكم الإمام يحيى حميد الدين (1904- 1948) في مديرية ساقين بمحافظة صعدة، وهو أشبه ما يكون بحامية عسكرية. استخدمه الإمام أحمد خلال فترة حكمه (1948-1962) سجناً لمعارضيه. موقعه استراتيجي، إذ يطل على مدينة ساقين من جهة الشرق، والتي تبعد عن عاصمة محافظة صعدة حوالى 30 كيلومتراً. بالقرب من المبنى توجد عدة مبان حكومية: المواصلات، المستشفى العام بساقين وإدارة الأمن. وإجمالاً، كان المبنى بمثابة قلعة حربية قبل أن يصبح مقراً للمسؤولين الحكوميين، وسجناً.

بعد قيام ثورة 26 سبتمبر/ أيلول 1962، التي أنهت نظام حكم المملكة المتوكلية اليمنية (1918-1962)، بقي المبنى مهجوراً لفترة من الزمن، قبل أن يسكنه بعض مشايخ المنطقة من آل بشر. وفي العام 2002، وأثناء فترة المحافظ يحيى العمري، تم ترميم المبنى وتخصيصه مقراً للسلطة المحلية في المديرية، وظل كذلك حتى قامت جماعة أنصار الله (الحوثيون) بالهجوم عليه ومحاصرته بمن فيه من أفراد الجيش والأمن. كان ذلك بعد استيلاء مقاتلي الجماعة على مديرية ساقين في العام 2009، قبل حرب صعدة السادسة[95]. وقد استخدمته الجماعة لأغراض عسكرية، وسجناً للمناوئين لها. ومع بداية الحرب السادسة، في 10 يونيو/ حزيران 2009، قامت القوات الجوية اليمنية بقصف المبنى، ما أدى إلى تدمير جزء منه من جهته الجنوبية. وفي يونيو/ حزيران 2016، تعرض لقصف جوي من قبل طيران التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات، ثم تعرض ما بقي في المبنى من أخشاب وأحجار جميلة، للسرقة.

(95) لمعرفة تفاصيل الحروب التي خاضتها جماعة الحوثيين ضد نظام الرئيس علي عبدالله صالح ، والتي حدثت ما بين (2004- 2009) أنظر الرابط التالي: http://almoheet.net/%D8%AD%D8%B1%D9%88%D8%A8-%D8%B5%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AA/

عبدالكريم (35 سنة) (اسم مستعار) لشاهد عيان

تحدث لـ«مواطنة» عما تعرض له موقع القفل من أضرار. قال عبدالكريم:
«منذ العام 2006، تم استخدام موقع القفل التاريخي من قبل الأمن والجيش. وبعد دخول جماعة الحوثي واستيلائها على الموقع في عام 2009، حولوه إلى سجن ومقر لهم. وفي التاسعة من مساء الأربعاء 15 يونيو/ حزيران 2016، تعرض المبنى لضربتين جويتين تفصل بينهما خمس دقائق فقط. ألحقت الغارتان أضراراً جسيمة في الموقع التاريخي، ولم يتبق منه غير المسجد وبعض الغرف فقط»[96].

خالد (44 سنة) (اسم مستعار) أيضاً لشاهد عيان آخر من أهالي المنطقة. وقد أدلى بشهادته التالية على نفس الواقعة:

«كان هذا الموقع مقراً للسلطة المحلية، وتم ترميمه في عهد المحافظ يحيى العمري، في عام 2006. كان يستخدمه الجيش قبل دخول جماعة الحوثي إلى المنطقة، ثم تعرض للضرب من قبل الطيران اليمني في الحرب السادسة 2009، وتضرر جزؤه الجنوبي بشكل متوسط في بعض الغرف ورأس القصبة. وفي يوم الأربعاء 15 يونيو/ حزيران 2016، تم ضربه ليلاً بغارتين جويتين متتاليتين من قبل التحالف العربي ليقضى على ما تبقى منه. لم يبق منه إلا المسجد وعدة غرف فقط. ومنذ ذلك الحين، فقد الموظفون فيه بنظام التعاقد، وظائفهم» [97].

(96) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 1 فبراير/ شباط 2017.
(97) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 3 فبراير/ شباط 2017.

رصيف السياح — عدن

رصيف السياح، أو ما كان يعرف بـ«رصيف ويلز»، هو من المنشآت التي بنتها الحكومة البريطانية في أبريل/نيسان عام 1919، خلال فترة احتلالها لمدينة عدن (1839-1967). تم بناء الرصيف بالقرب من مدخل الميناء الرئيسي لمدينة عدن، وذلك تلبية للحركة السياحية المتزايدة التي كانت تشهدها المدينة. كان يتم نقل السياح بزوارق خاصة من وإلى الرصيف، كما كان يستخدم كرصيف خدمات، يتم من خلاله نقل البحّارة والتموين، إضافة إلى استخدامه مرسى لليخوت والسواعي السياحية[98].

يقع رصيف السياح بمنطقة البنجسار في مديرية التواهي بمحافظة عدن، ويبلغ العمق الأدنى بمحاذاة الرصيف أربعة أمتار. يتميز الرصيف بمتانة جدرانه العريضة وصلابة بنائه؛ إذ بُني بالحجر الشمساني (نسبة لجبل شمسان). كما يتميز بطرازه الجميل، وسقفه القرمزي الأخّاذ، الذي يحاكي طراز البناء الخاص ببوابة ميناء بومباي الهندي.

مبنى رصيف السياح قبل الحرب - عدن تصوير/ ابراهيم اليونسي

(98) http://www.portofaden.net/APassengerTerminal.aspx

تعرض رصيف السياح لعدة هجمات أدت إلى تدميره. حدث ذلك خلال الحرب التي شهدتها مدينة عدن مطلع العام 2015، بين جماعة أنصار الله (الحوثيين) وحليفهم السابق صالح من جهة، وبين المقاومة الشعبية في المدينة وقوات التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات من جهة مقابلة.

مبنى رصيف السياح بعد الحرب تصوير/ صالح باحليس

ماهر محفوظ عبد اللطيف (30 سنة)، كان شاهد عيان على تدمير رصيف السياح، كونه أحد سكان المنطقة التي يقع فيها مبنى الرصيف. الشهادة التالية لماهر تختصر ما تعرض له هذا المعلَم:

«بعد سيطرة الحوثيين وقوات الرئيس السابق صالح، على التواهي في مايو/ أيار 2015، نزح معظم سكان حارتي، ومنهم أسرتي. بقيت أنا في المنزل للحفاظ عليه، ولعدم رغبتي بالنزوح. تمركز الحوثيون في ميناء عدن، وتحديداً في مبنى الإدارة ورصيف السياح. وبعد فترة، كنا نسمع أصوات أسلحة ثقيلة تضرب وتهزّ المنطقة كلها. اتضح لنا أن الحوثيين لديهم راجمة صواريخ (كاتيوشا) في أعلى الجبل، وأنهم يطلقون الصواريخ على الأجزاء التي لم يستطيعوا السيطرة عليها من المدينة. وبعد مدّة، شاهدنا راجمة الصواريخ في الحديقة التابعة للرصيف وللميناء. كان صوت إطلاقها لصواريخ الكاتيوشا قوياً جداً. وفي منتصف، أو أواخر شهر رمضان، الموافق، يوليو/ (تموز) 2015، تم استهداف الرصيف التاريخي من قبل طيران التحالف العربي، بقنبلة أدت لتدميره. تحطم السقف واثنتان من واجهاته، والواجهتان الأخريان على وشك السقوط»[99].

(99) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع ماهر محفوظ، تاريخ مايو/ أيار 2016.

الفصل الرابع
آثار دينية

جامع الهادي صعدة

جامع الإمام الهادي، هو أحد مساجد مدينة صعدة التاريخية. بُني في حوالى العام 290هـ/ 897م، وسُمي باسم الإمام يحيى بن الحسين الملقب بـ«الهادي إلى الحق»، مؤسس دولة الأئمة في اليمن[(100)]. يتكون الجامع من صحن مكشوف في الوسط، تحيط به أربعة أروقة، أعمقها رواق القبلة. يمكن الدخول إلى المسجد من خلال ثلاثة عشر باباً، وله مئذنتان، كبراهما تقع في الصحن، وتُعد من أكبر المآذن اليمنية؛ إذ يصل ارتفاعها قرابة 52 متراً. أما المئذنة الثانية فهي صغيرة، وتقع في الفناء الجنوبي[(101)].

للجامع مكانة دينية وتاريخية كبيرة، خصوصاً لدى أتباع المذهب الزيدي، الذين يتخذونه مزاراً، كونه يضم ضريح الإمام الهادي. من ناحية أخرى، فإن الجامع يعد مقراً رئيسياً ومدرسة مرجعية للفكر الزيدي. وفي هذه المدرسة، تُدرّس علوم الدين واللغة، وتقام الندوات والمحاضرات والحلقات ذات الطابع الديني. كما توجد في الجامع مكتبة تحوي الكثير من الكتب الدينية والتاريخية القديمة، ويؤمّه كثيرون ممن تُطلق عليهم تسمية «المهاجرين»، أو المنقطعين لطلب لعلم.

■ *جامع الهادي - صعدة ، تصوير / أحمد الباشا*

(100) أحمد جابر عفيف وآخرون، مرجع سابق، ص 1018.

(101) أحمد زكريا: مساجد اليمن: نشأتها، تطورها، وخصائصها، مركز عبادي للدراسات والنشر، 1998.

في أواخر العام 2011، استكملت جماعة أنصار الله (الحوثيون) السيطرة على محافظة صعدة. بعد ذلك بفترة وجيزة، استولت الجماعة على جامع الهادي الأثري، وخصصت له غرفة حراسة، وفرضت إجراءات تفتيش على الداخلين إلى الجامع عند بوابته الشرقية».

عند الساعة 4:30 من عصر السبت 9 مايو/ أيار 2015، شن طيران التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات، غارة جوية أصابت عدداً من المحلات التجارية الخاصة ببيع الملابس والجنابي (الخناجر اليمنية) بجوار الجامع. وفي 9:30 من صباح اليوم التالي، شن طيران التحالف غارة ثانية أسفرت عن تدمير كل المحلات التجارية في الساحة المجاورة للجامع، ومشروع المياه. تضرر الجامع وواجهات المنازل والمحلات التجارية المحيطة. على إثر تلك الهجمتين، تم نقل كل المحلات التجارية التي كانت داخل المدينة إلى خارجها ، تحديداً إلى جوار مستشفى السلام السعودي.

لم يتسن لفريق «مواطنة» التقاط صور عن قرب للمكان الذي استهدفته الغارتين الجويتين، نظراً لوجود نقطة يتمركز فيها مسلحون من جماعة أنصار الله (الحوثيين) تحته من جهة الشمال الغربي، ولوجود موقع عسكري تابع للجماعة أيضاً، على الجبل المطل على الموقع الأثري.

ياسين (38 سنة)، (اسم مستعار) لشاهد عيان تحدث لـ«مواطنة» عن تلك الواقعتين. قال ياسين:

«في حوالي الساعة 4:30 من بعد عصر يوم السبت الموافق 9 مايو/ أيار 2015، شنّ طيران التحالف غارة استهدفت محلات بيع الجنابي ومحلات الملابس ومشروع المياه، الملاصقة لجامع الإمام الهادي في باب اليمن بمدينة صعدة القديمة. وعند حوالى الساعة 10:00 من صباح اليوم التالي، استُهدف نفس المكان بغارة ثانية».

وأضاف ياسين: «عندما حدثت الغارة الأولى، كنت أنا وأخي فقط في منزلنا؛ لأن أولادنا والنساء كانوا قد نزحوا إلى منطقة دماج. أغلب سكان المدينة كانوا قد نزحوا في ذلك الوقت، بسبب اشتداد الغارات، خارج السور (باب اليمن) والمجمّع الحكومي، وأيضاً شمال المدينة في حارة الضباط... غارات مكثفة على المعسكرات، والناس تخوفوا بعد تصريح الناطق الرسمي باسم قوات التحالف العسكري الذي تقوده السعودية والإمارات، وتحذيره لسكان صعدة. وقت الغارة الأولى، خرج أخي إلى السطح ليشاهد أين ضربت الطائرة. ظنّها قريبة، بجوارنا، لأن الرياح كانت تأخذ الغبار نحونا، فظن أن الضربة بجوارنا. صعدت إلى السطح وقلت له: الغارة في جامع الهادي من جهة الغرب. بصراحة خفنا، لأن المدينة كانت قد أصبحت شبه خالية، وتحليق الطيران مستمر، والقصف هنا وهناك»[102].

وعن استهداف جامع الهادي، قال ياسين: «قصف الجامع أو جواره يستفز الناس، خصوصاً أهل صعدة، لأنه معلم إسلامي أثري. في اليوم الثاني عدنا إلى المنزل، لكي نأخذ بعض الأغراض المتبقية في المنزل، فقد كنا في البداية نتوقع أن يخف القصف أو يهدأ الوضع سريعاً، لذلك لم نأخذ كل أدواتنا من البيت. وعندما كنت أنا وأخي وزوجتي نحمل الأدوات إلى السيارة، حدثت الغارة الثانية. كانت الساعة حوالى 10:00 صباحاً. وقتها اهتزت السيارة وأنا بجوارها، وصاحت زوجتي بينما كانت خارجة من باب المنزل، وألقت بالفرش من فوقها، بسبب الارتجاج الذي أحدثته قوة الانفجار. توقعت أن الغارة ضربت عندنا. هرول أخي نحونا وحثّنا على المغادرة فوراً خشية أن تعاود الطائرة القصف. كانت زوجتي خائفة جداً. قلت لأخي: اهدأ قليلاً. وانتظرنا حوالى نصف ساعة، حتى خف تحليق الطيران، فانطلقنا عائدين إلى دماج. وعند خروجنا من باب اليمن، شاهدنا آثار الغارة، التي ضربت جوار الأولى. تضررت المنازل أكثر، ووصلت الشظايا والأحجار إلى باب اليمن.

صادق (41 سنة) (اسم مستعار) أيضاً، لشاهد عيان آخر على واقعة استهداف مسجد الهادي الأثري في صعدة. قال صادق:

«تم استهداف جامع الهادي بغارتين نفذهما طيران التحالف العربي. الأولى في يوم السبت، الموافق 9 مايو/ أيار 2015، في باب اليمن بمدينة صعدة القديمة والثانية في اليوم التالي. لم تصب الغارتان الجامع مباشرة؛ وقعتا بالقرب منه، حوالى 3 أمتار فقط شرقاً. دمرت هاتان الغارتان كل المحلات الصغيرة والحوانيت ومشروع المياه، الذي لم يسلم فيه سوى الخزان الأسمنتي المرتفع. المحلات الواقعة إلى الجنوب والشمال في أطراف الساحة، تضررت واجهاتها وتكسرت أبوابها. أما المحلات في وسط الساحة جوار الجامع، فتم تدميرها بالكامل وسويت بالأرض. خرجت وإذا بباب اليمن هو مكان الضربة. كانت الساحة القريبة من جامع الهادي مغمورة بالشظايا والحطام، ورائحة البارود ما تزال تفوح في المكان. الحفرة التي خلّفتها تلك الغارة كانت تتسع لإخفاء سيارتين. كانت الواجهة الجنوبية متضررة؛ الجدران وأبواب المحلات، والمنازل من الجنوب الغربي مدمرة جزئياً، وجدار الجامع تضرر وكان منقوش بالشظايا».

(102) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 5 فبراير/ شباط 2017.

مسجد المعتبية
تعز

يُعد مسجد المعتبية (المدرسة المعتبية) ثالث أكبر جامع في مدينة تعز القديمة، بعد جامعي المظفر والأشرفية. يقع إلى الغرب من جامع الأشرفية، في حيّ الأشرفية نفسه، التابع إدارياً لمديرية المظفر- محافظة تعز. قامت ببنائه «جهة الطواشي»[103]، جمال الدين معتب بنت عبدالله الأشرفي، زوجة السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل، المتوفاة سنة 796هـ/ 1393م.

تتكون المدرسة من صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة، أعمقها رواق القبلة، الذي تغطيه ست قباب مزخرفة من الداخل. ويقع المدخل الرئيسي للجامع في الجهة الجنوبية، وقد أضيف إليه عدد من الملاحق[104].

في الساعة 11:00 من صباح يوم الأربعاء، الموافق 15 يوليو/ تموز 2015، تعرضت «المعتبية» لانتهاك جسيم تمثل في قصف الواجهة الشمالية للمدرسة بقذيفة دبابة من قبل جماعة أنصارالله (الحوثيين) وقوات صالح، ما ألحق أضراراً بجدارها من الأعلى.

(103) «الطواشي»: لفظ يطلق على جند الأمراء، أي حراسهم، وعملهم السائد هو خدمة بيوت السلطان وحريمه، وهكذا فإن الطواشي في عهد بني رسول تنسب إليه المرأة الشريفة؛ لأنه يقوم بخدمتها، بل ربما يقود الأحداث باسمها. أما لفظ «الجهة»، فهو لفظ سلجوقي- تركي، يطلق على المرأة جليلة القدر، وبالذات إن كانت زوجة السلطان أو أخته أو أمه، وقد يُقرن باللقب لقب «الدار» أو «الأدر»، جهة الطواشي فلان. وكان لفظا «الطواشي» و»الجهة» يسبقان اسم الأب أو من تنسب إليه المرأة من الطواشية المربين الخصيان، وهو لفظ يقابل في عصرنا معنى «حَرَم»، والذي يقال تجنباً لذكر اسم المرأة في عصرنا تأدباً (الوارف: نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري، تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003، ص 525. عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع: الأثر السلجوقي على اليمن حتى منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، مجلة الإكليل، العددان 37 و38، 2010، ص12).

(104) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج2، ص 209. محافظة تعز: تعز حضارة وحضور، 2010، ص 202.

صادق علي المحيا (42 سنة)، نائب مدير مكتب السياحة بتعز، أدلى أيضاً بالشهادة التالية، على تلك الواقعة:

«قبل ظهر يوم الأربعاء، الموافق 15 يوليو/ تموز 2015، تم قصف المدرسة المعتبية بقذيفة دبابة، ألحقت ضرراً بجدار مبنى المدرسة من جهة الشمال. لم يكن هناك أي تواجد مسلّح أو استخدام عسكري للمدرسة. أُطلقت القذيفة من جهة مقر المؤتمر الشعبي العام، شرق المدينة، والذي يطلّ على المدرسة المعتبية ويبعد عنها 1,3-1 كيلومتر تقريباً. في ذلك الحين، كان مقر المؤتمر الشعبي العام موقعاً تستخدمه قوات الحرس التابعة لصالح، وجماعة الحوثي. ومن هناك كانوا يقصفون بقذائف مدفعية (بي إم بي) المتواجدة في حوش مقر حزب المؤتمر، على الأحياء الغربية والشمالية الغربية والجنوبية للمدينة».

وأضاف المحيّا: «هذه الهجمة سبقتها هجمات أخرى على المواقع الأثرية في المدينة القديمة، قامت بها جماعة الحوثي وقوات صالح. لم تحدث أية إصابات بين المدنيين، لكنها تسببت في تضرر المدرسة المعتبية والمنزل المجاور لها، وإرعاب الآمنين من سكان الحيّ، كما أدت إلى نزوح السكان المحيطين بمكان الواقعة. عدا القصف الذي كنا نسمع عنه على مناطق متفرقة من أحياء المدينة، بشكل متقطع، وبعد سقوط تلك القذيفة على المدرسة، لم تتعرض للقصف مجدداً»[105].

(105) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع صادق المحياء، تاريخ 2 مارس/ آذار 2017.

جامع ومدرسة الأشرفية
تعز

جامع ومدرسة الأشرفية، هو أحد أشهر وأضخم المساجد الأثرية في اليمن. بُنيَ في مدينة تعز، على سفح جبل صبر، في الطرف الجنوبي الغربي من المدينة (مديرية المظفر حالياً). وتشير بعض النصوص المنقوشة على بعض جدرانه، إلى أنه بُنيَ بأمر من الملك الأشرف بن العباس.

بدأ بناء الأشرفية في عام 1275م، وافتتح في عام 1382م، في أوج ازدهار الدولة الرسولية (1454-1229م). وهو من أهم المدارس الدينية في تاريخ اليمن الإسلامي.

يضم الجامع، إضافة إلى قاعة الصلاة، مدرسة، وأضرحة لعدد من ملوك الدولة الرسولية. ويعتبر واحداً من أجمل المساجد في تعز، جنبا إلى جنب مع مسجد المظفر. حين كان هذا المعلم التاريخي يستقبل أفواجاً من السيّاح الأجانب، توجّه أهالي المنطقة نحو العمل في عدد من الحرف التي ساهمت بتحسين مداخيلهم ومستواهم المعيشي.

غير أن هذا المعلم الأثري لم يسلم من نيران الحرب، حين تعرض لقصف مدفعي مفاجئ شنته جماعة أنصار الله (الحوثيون) وقوات حليفهم السابق صالح، على حي الأشرفية. فقد أصابت قذيفة مدفعية، المنارة الشرقية لجامع الأشرفية في يونيو/ حزيران 2015، وألحقت بها أضراراً جسيمة.

صادق علي علي المحيا (42 سنة)، نائب مدير عام السياحة بمحافظة تعز، كان شاهد عيان على هذه الواقعة. وقد تحدث عنها قائلاً:

«في الساعة 4:30 من يوم الأربعاء الموافق 17يونيو/ (حزيران) 2015، تعرضت المنارة الشرقية لجامع الأشرفية التاريخي، لقصف مدفعي مفاجئ. لم تكن هناك أية اشتباكات سبقت القصف، ولم يكن هذا المسجد مستخدماً كموقع عسكري للمقاومة أو لأية جماعة، كونه محاط بعدد من المواقع المطلة على المدينة القديمة. في ذلك الوقت، كان يسيطر على تلك المواقع مسلحو جماعة الحوثي وصالح، وكانت المقاومة وكتائب أبي العباس مازالت في بداية تكوينها وغير متمركزة في أي مواقع مجاورة للجامع. تفاجأنا بسقوط قذيفة مدفعية تسببت في اهتزاز كامل الحي المحيط بالجامع، وتحطّم زجاج نوافذ المنازل المجاورة له. أما منارة الجامع، فقد ألحقت بها القذيفة أضراراً واضحة للعيان في وسطها، كما أصيبت بتشققات. أُطلقت القذيفة من جهة الشرق؛ الجهة التي تقع فيها إدارة الأمن، في النقطة الرابعة (المستشفى السويدي)، التي تبعد حوالي 800 متر عن الجامع. هناك كانت تتمركز جماعة الحوثي وقوات صالح في تلك الفترة».

وفي حين قال المحيا إن تلك الهجمة لم تسفر عن إصابات بين السكان، قال إنها «تسببت في نزوح غالبية سكان الحي». وتابع: «خلفت تلك الهجمة حالة من الذعر والخوف لنا ولسكان محيط الموقع. هذه الحرب تسببت في توقف الزوار والسيّاح عن القدوم إلى المواقع الأثرية في المدينة، الأمر الذي أدى إلى انقطاع مداخيل أصحاب المهن الحرفية ومنتجاتهم التي كانت تعرض لزوار المنطقة»[106].

(106) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع صادق المحيا، تاريخ 4 فبراير/ شباط 2017.

جامع المظفر
تعز

يُنسب بناء جامع المظفر/ المدرسة المظفرية، في مدينة تعز، إلى الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، ثاني ملوك الدولة الرسولية، والذي تولى الحكم في الفترة (694-647هـ/ 1249-1294م).

يقول مؤرخون إن الجامع أُسّس في النصف الأول من حكم الملك المظفر، أي في (648هـ/ 1250م)، فيما قام السلطان عامر بن عبدالوهاب، مؤسس الدولة الطاهرية، بين عامي (858 و923هـ)، بتشييد قباب الجامع، والتي تعرف بالقباب العامرية. وقد جرت على الجامع بعض الإضافات والتعديلات خلال القرون التالية لبنائه، ومن ذلك بناء مئذنة جديدة للمسجد في طرفه الشرقي، في ثمانينيات القرن العشرين ((107)).

يعتبر جامع المظفر أحد أبرز المعالم الدينية والتاريخية لمدينة تعز، كما كان ولا يزال، مدرسة لتعليم علوم الدين. ويقع الجامع في حيّ يحمل اسمه، في قلب مدينة تعز، وتسمى أحيانا بالمدينة القديمة. وبعد التقسيم الإداري الذي شمل المدن بتقسيمها إلى مديريات، صار «المظفر» اسماً لإحدى مديريات المدينة الثلاث. يوجد في مديرية المظفر ثلاثة من أبرز المعالم التاريخية الدينية، ببناء فريد يعود تاريخه لأكثر من ألف عام، ويرتبط بقيمة روحية كبيرة لدى سكان مدينة تعز:

1- جامع المظفر/ المدرسة المظفرية.
2- جامع الأشرفية/ المدرسة الأشرفية.
3- جامع المعتبية/ المدرسة المعتبية.

على بعد 100 متر تقريباً من جامع المظفر، ثمة تجمع عسكري في مجمع هائل التعليمي للبنات، الذي يستخدم ثكنة عسكرية ومقراً إعلامياً لفصيل أبي العباس. وثقت «مواطنة» واقعة قصف مدفعي شنته جماعة أنصار الله (الحوثيون) وقوات تتبع الرئيس السابق صالح، استهدف مسجد المظفر في يوم الأحد 17يوليو/ تموز 2016.

(107) فيصل سعيد فارع: تعز.. فرادة المكان، مؤسسة السعيد للعلوم، 2012، ص 208.

في شهادته على هذه الواقعة، قال عبدالكريم قاسم محمد حمود (30 سنة)، وهو شاهد عيان من أهالي الحيّ،

إنه تفاجأ بسماع انفجار شديد عند الساعة الـ11:30 من مساء الأحد 17 يوليو/ تموز 2016. وأضاف عبدالكريم: «كنت أتحدث مع بعض الجيران حين سمعنا صوت انفجار عنيف جداً. وبالتزامن مع الانفجار، رأينا ضوءاً أحمر ثم دخاناً انبعث من داخل جامع المظفر. هربنا وقتها بحثاً عن أماكن آمنة نحتمي بها. كنا نتوقع أن تتبع هذه القذيفة قذائف أخرى. وحين رأيت سكان الحي يهرعون إلى داخل المسجد، خرجت وذهبت معهم لأرى ما حدث. بفضل الله لم يصب أحد بأذى. كان هناك مجموعة قليلة من الناس داخل الجامع، والقذيفة سقطت في إحدى الغرف البعيدة عن مكان تواجدهم؛ فمساحة الجامع كبيرة جداً، لا أستطيع تحديدها، إلا أنه شاسع جداً. لقد عرفنا أن المقذوف صاروخ كاتيوشا حين رأينا بقاياه، قبل أن يأخذها رجال المقاومة المتواجدون في المنطقة»[108].

وعمّا إذا كان مسجد المظفر تعرض لهجمات سابقة، أكد عبدالكريم ذلك قائلاً: «قبل هذه الواقعة تعرّض الجامع أيضاً لعدة هجمات بمضادات الطيران، إلا أنها لم تصبه سوى بأضرار طفيفة. أما هذه القذيفة فقد أحدثت ثقباً كبيراً في أحد جدران المسجد. وقد تعاون شباب الحيّ في إعادة ترميمه».

مؤذن جامع المظفر، أحمد غالب عبده أحمد (56 سنة)، وصف هذه الواقعة باقتضاب، قائلاً: «كنت في منزلي القريب من المسجد، حين وقع الانفجار وأضاء السماء بلون أحمر. خرجت فرأيت دخاناً كثيفاً يتصاعد من المسجد. توقعت أن كل من كانوا في المسجد حينها قد توفوا؛ لكن الحمد لله أن القذيفة سقطت في إحدى الغرف البعيدة عن مكان تواجدهم، ولم يصب أحد منهم. لكن القذيفة ألحقت أضراراً متوسطة بجدران المسجد، حيث أحدث فجوة وبعض التشققات، قمنا بترميمها بعد ذلك»[109].

(108) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع عبدالكريم قاسم محمود، تاريخ 12 فبراير/ شباط 2017.

(109) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع أحمد غالب، تاريخ 9 فبراير/ شباط 2017.

جامع وقبة عبد الهادي السودي

تعز

يقع جامع عبدالهادي السودي في حارة تحمل اسمه ضمن حارات حيّ المظفر بمدينة تعز، في الجهة الغربية من المدينة القديمة. أسسه -زاوية ومسجداً صوفياً- الشيخ أبو عبدالله عبدالهادي السودي اليمني التعزي (860-932هـ/ 1450-1525م). كان الشيخ عبدالهادي أديباً وقاضياً، وحين مات دُفن في موضع ملاصق لمسجده الذي كان يقوم بالتدريس فيه، ثم أقيمت قبة فوق ضريحه.[110].

عُرف الجامع باسم جامع المشَنّة أيضاً، وأُجريت عليه بعض الإضافات خلال الوجود العثماني الأول، كما أجريت عليه إضافات أخرى في نهاية الوجود العثماني الثاني، من قبل الشيخ محمد مقبل. أما الضريح، فقد كان يعتبر من أهم المعالم الصوفية في اليمن، وهو أحد أضرحة الأولياء الذين لهم مكانة عند المتصوفة خاصة من أهالي تعز، إضافة إلى كونه أحد المعالم الأثرية التي كان يزورها السياح في فترة ما قبل الحرب[(111)].

يقع الجامع والضريح في الجزء الغربي من المدينة القديمة، التي تحتوي على عدد من المعالم الأثرية والتاريخية. وتسيطر على هذه المنطقة حالياً كتائب أبي العباس، التي تتمركز في مجمع هائل التربوي للبنات، على مسافة تبعد عن الجامع بحوالى 500 متر باتجاه الشمال الشرقي. وتقع قلعة القاهرة الأثرية أعلى قُبّة السودي من الجهة الجنوبية الشرقية (حوالى 650 متراً)، ومن الشرق جامع المعتبية (حوالى 100 متر) وجامع الأشرفية (حوالى 250 متراً) .

تعرضت قبة عبدالهادي السودي في 29 يوليو/ تموز 2016، للتفجير والنسف بالديناميت، من قبل عناصر متطرفة تتبع جماعة «أنصار الشريعة».

وتسنّى لـ«مواطنة» زيارة الموقع وتصويره في 1 فبراير/ شباط 2017، لكن تعذّر اللقاء بأكثر من شاهد، بسبب انتشار مسلحي كتائب أبي العباس في المنطقة.

(110) عبدالعزيز المنصوب: مادة (س) في الموسوعة اليمنية، ج3، ط2003، ص 1634.

(111) المصدر نفسه

سمير (اسم مستعار) (42 سنة)، كان شاهد العيان الوحيد الذي وافق على التحدث لفريق «مواطنة».

في البداية، أكد سمير على أن جامع وقبة عبدالهادي السودي كانا من المعالم الأثرية التي تجذب السياح وترفد خزينة المحافظة «بعوائد لا بأس بها». ثم استرسل في الحديث عن واقعة النسف التي طالت هذا المعلم الأثري؛

«عند الساعة 9:00 من مساء يوم الجمعة، الموافق 29يوليو/ تموز 2016، قدِمتْ إلى حارة عبدالهادي بمديرية المظفر، مجموعة مسلحة تابعة لتنظيم القاعدة، «أنصار الشريعة». جاؤوا على متن طقمين «شاص» لونهما أسود، وقاموا بزرع عبوات ناسفة من مادة الديناميت في محيط جامع وقبة الشيخ عبدالهادي السودي الأثري، المسمى أيضاً بمدرسة وجامع التقوية. بعد ذلك، قاموا بتفجيره بالكامل، ونبشوا بعض القبور في المقبرة الخلفية الملاصقة للجامع، بذريعة أن هذا الضريح مزار وزيارته كفر وإلحاد. تسبب التفجير في تضرر عدد من المنازل والمباني المحيطة والملاصقة للجامع، وأغلبها ذات بناء قديم. كما ولّد التفجير حالة رعب وذعر شديدة وسط أهالي الحي والمدينة عموماً، نتيجة شدة الانفجار؛ لقد تسبب في اهتزاز كل شيء واقف ومتين في المدينة القديمة،حتى أنه سُمع في أغلب أحياء مدينة تعز. قُتل في هذا التفجير حارس الجامع، الحاج/ علي محمد أبو أصبع، وهو شيخ ضرير كان متواجداً بجانب سور الجامع. أصيب بشظايا في الرأس والوجه، وتوفي في اليوم التالي في مستشفى الثورة العام الذي أسعف إليه. هناك أيضاً إصابات تعرض لها أربعة من المسلحين الذين فجّروا الضريح، لكن لا توجد معلومات عن مصيرهم أو إلى أين تم إسعافهم»[112].

وتابع سمير وصفه للحظة التفجير واللحظات التي سبقته، وكيف كان ردّ فعل أهالي الحيّ على نسف هذا المعلم الأثري: «تم تفجير الضريح بدون إنذار سكان المنطقة. وعند وصول المسلحين على متن الطقمين، كان أغلب المتواجدين يتساءلون عن سبب تواجدهم، لكن لم يجرؤ أحد على الذهاب إليهم ليسألهم. وعند نزولهم حاملين صندوقاً خشبياً، بدأ الشك يراود الجميع، خصوصاً أن الجامع يقع بين منازل سكنية عشوائية. وإضافة لدوي الانفجار الهائل، فقد زاد من حالة الخوف والهلع بين الناس، امتلاء سماء الحارة بالغبار والدخان، وتساقط الأحجار المتطايرة نتيجة التفجير، على مسافة واسعة من الحيّ. بعض تلك الأحجار تسبب بإصابات، كما ألحقت الشظايا المتطايرة أضراراً بخزانات المياه وألواح الطاقة الشمسية، ونوافذ المنازل القريبة من الانفجار. بعد التفجير بحوالى 20 دقيقة أو أكثر، بدأت الغيمة التي تكونت بفعل الانفجار تخف، وبدأت الرؤية تتضح. كانت الصدمة كبيرة لنا نحن سكان المدينة القديمة، كون الضريح والجامع لهما مكانه دينية كبيرة لدى أغلب أهالي المدينة. تسبب ذلك في توليد حالة استياء وتذمر وسط الأهالي، وفي صباح اليوم التالي، توافدت أعداد كبيرة من أهالي مدينة تعز لرؤية آثار التفجير. كان الوضع في ذلك اليوم متوتراً، وكانت كتائب أبي العباس انتشرت منذ الساعة الأولى لواقعة التفجير، تحسباً لأية ردود أفعال من قبل الأهالي أو القادمين إلى المنطقة. وحدث في ساعات من الليل إطلاق نار في الهواء، بغرض منع أي تجمعات أو الاقتراب من الموقع. لم تكتفِ عناصر تنظيم القاعدة بتفجير المواقع الأثرية في المنطقة، بل طالت انتهاكاتهم العديد من المواقع في مناطق سيطرة كتائب أبي العباس، التي اكتفت بالصمت ولم تقم بحماية هذه المواقع».

(112) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 4 فبراير/ شباط 2017.

قبة الرميمة — تعز

تقع قبة الرميمة في قرية التربة بمديرية «مشرعة وحدنان» التابعة لمحافظة تعز. يعود تاريخ بنائها إلى القرن السابع الهجري، على يد الشيخ علي بن أحمد الرميمة، الذي بناها كمدرسة دينية. للقبة مكانة تاريخية ودينية مهمّة لدى أهالي مديرية مشرعة وحدنان، كونها كانت مدرسة دينية درس فيها الكثير من رجال الدين، وهذا ما زاد من أهميتها كمعلم ديني أثري لدى أهالي المديرية. في وقت سابق، كانت القبة مزاراً للأهالي في المناسبات الدينية، كما كانت من المعالم التاريخية والأثرية التي يرتادها الزوار من سكان مدينة تعز ومدن أخرى، إضافة إلى السياح الأجانب. لقد كانت بمثابة محطة أثرية للمؤرخين والباحثين المهتمين في التاريخ والآثار؛ إذ كانت تحوي الكثير من الكتب القيمة والنقوش المنحوتة على الأبواب.

المنطقة التي توجد فيها قبة الرميمة، ريفية جبلية، وتقع ضمن مديريات جبل صبر. في مدخلها الشمالي، استُحدثت نقطة تابعة للجيش الموالي للرئيس هادي، وتبعد عن الموقع الأثري حوالى 800 متر. أما في الجهة الجنوبية، فتوجد نقطة تفتيش تابعة للمقاومة الشعبية، وتبعد نحو 500 متر عن الموقع الأثري. كما يوجد في القرية مقر تابع للجيش والمقاومة الشعبية الموالين للرئيس هادي، ويبعد المقر عن القبة الأثرية حوالى 300 متر غرباً.

يعتمد أهالي المنطقة بشكل أساسي على زراعة القات. وهي من أكثر مناطق محافظة تعز التي التحق سكانها في صفوف المقاومة والجيش الموالي للرئيس هادي. حمل السلاح يشكل ظاهرة بين الأهالي، ومازالت جدران منازل القرية تحتفظ بآثار الاشتباكات التي دارت بين أهالي القرية والمديرية الملتحقين بصفوف المقاومة الشعبية من جهة، وبين أنصار الله (الحوثيين) وآل الرميمة من جهة أخرى. وفي أحاديثهم لـ«مواطنة»، اعتبر الكثير من أهالي القرية أن القبة هي من بقايا المد الشيعي والحوثي في المنطقة.

منذ أواخر أغسطس/ آب 2015، تخضع المنطقة لسيطرة الجيش الموالي للرئيس هادي والمقاومة الشعبية، وقد كانت المنفذ الوحيد لمدينة تعز أثناء حصارها من قبل جماعة أنصار الله (الحوثيين).

عند الساعة 12:30 من ليل الجمعة 31 مارس/ آذار 2017، تم تفجير قبة الشيخ علي بن أحمد الرميمة ونسفها بالكامل. فقد زرع مجموعة من المسلحين المتشددين عبوات ناسفة تحت القبة، وقاموا بنسفها لأنهم اعتبروها من معالم الكفر والإلحاد.

في شهادتها على هذه الواقعة، قالت لينا محمد سلطان السبئي (17 سنة)، وهي من سكان المنطقة:

«في منتصف تلك الليلة، سمعنا صوت انفجار كبير هزّ القرية. صعدنا إلى سطح المنزل، وشاهدت حِمَماً نارية تتطاير في الهواء. كانت شبيهة بالجمر، وكان هناك رجال يرددون التكبيرات: الله أكبر ولله الحمد... ولم يجرؤ أحد من أهل القرية على الخروج لرؤية ما يحدث. في الصباح، تجمع العديد من أهالي القرية والقرى المجاورة لرؤية القبة وما حدث لها وللملحق. انقسم الناس بين مؤيد ومعارض لمثل هذه الأعمال، خصوصاً أن القبة تعتبر «مقاماً» دينياً لا علاقة له بالنزاع المسلح الذي حدث في القرية.

وعن الأثر الذي خلفته هذه الواقعة، قالت لينا: «سادت حالة من الرعب بين أهالي القرية على إثر تفجير القبة، إضافة إلى شعورهم بأن أهم المعالم الأثرية في المنطقة، والتي كانت تعود لهم بالدخل من توافد الزوار والسياح الأجانب، قد انتهى تماماً. كما وسّعت هذه الواقعة فجوة الكراهية بين أهالي القرية والمديرية، المنقسمين بسبب الأحداث الأخيرة»[113].

(113) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع لينا السبئي، تاريخ 11 مايو/ أيار 2017.

كنيسة سانت جوزيف

عدن

تم بناء كنيسة سانت جوزيف بين عامي 1854 و1855، في حيّ الباردي بمديرية صيرة/ كريتر. أشرف على بنائها الكاردينال جي ماسايا. وكانت الكنيسة عبارة عن مدرسة مخصصة للراهبات، وكانت تُسمّى قديماً مدرسة البعثة الكاثوليكية الرومانية الخاصة[114].

بعد وصول الحرب إلى عدن مطلع مارس/ آذار 2015، وعلى إثر اجتياح مقاتلي جماعة أنصار الله (الحوثيين) وقوات حليفهم السابق صالح، مدينة كريتر، دخل مقاتلو الجماعة كنيسة سانت جوزيف، وعبثوا بمحتوياتها؛ حطّموا التماثيل وما شاكلها من التُّحف، وكتبوا شعاراتهم على جدران الكنيسة. وكان شهود عيان أفادوا «مواطنة» بأن مجموعة من الملثّمين يُعتقد بأنهم من تنظيم القاعدة، دخلوا كنيسة سانت جوزيف، بعد انسحاب مقاتلي جماعة أنصار الله (الحوثيين) وقوات الرئيس السابق صالح من عدن، وحطّموا بقية المحتويات. وقال شهود العيان إن الأشخاص الملثّمين، دخلوا الكنيسة عند حوالى الساعة 7:00 من صباح الأربعاء 16 سبتمبر/ أيلول 2015، وأشعلوا النار بالمبنى. التهم الحريق سقف الكنيسة بالكامل وما تبقى من أثاث، وبقيت الجدران سليمة.

(114) http://www.elganob.com/local-news/11983/%E2%80%98%E2%80%98%D9%83%D9%86%D8%A7%D8%A6%D8%B3-%D8%B9%D8%AF%D9%86%E2%80%98%E2%80%98-%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%8-6-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D9%82%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%B5%D9%88%D8%B1.html

رضا رشاد محمد (50 سنة)، كان شاهد عيان على إحراق كنيسة سانت جوزيف. قال رضا، وهو عضو في المجلس المحلي، ويسكن بجوار الكنيسة:

«في صباح يوم 16 سبتمبر/ أيلول 2015، فوجئنا بمجموعة مسلحين ملثّمين يستقلون سيارة هيلوكس واثنان منهم كانا على دراجة نارية. دخل المسلحون الكنيسة وقاموا بإشعال النار فيها، ما أدى لاحتراق سقفها ومحتوياتها وبقية الجدران. وما تبقى في الكنيسة من أخشاب وأيقونات، تعرض للسرقة. غرفة الحارس، التي تقع خلف الكنيسة، تعرضت للسرقة أيضاً. كان الحارس قد بناها بنفسه، بعد أن قمنا بتسكينه وأسرته خلف الكنيسة، لأن منزلهم احترق. هم أسرة فقيرة ولم تساعدهم الدولة، لذلك قمنا بتسكينهم داخل سور الكنيسة بعد أن بنوا بأنفسهم تلك الغرفة»[115].

(115) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع رضا رشاد، تاريخ 11 مايو/ أيار 2016.

كنيسة شيلدن

عدن

بنيت كنيسة شيلدن، أو كنيسة حافون، عام 1952، إبان الاحتلال البريطاني لعدن (1839-1967)، وتقع هذه الكنيسة في شارع حافون بمديرية المعلا.

خلال المعارك التي شهدتها مدينة عدن، منذ مارس/ آذار- يوليو/ تموز 2015، بين مقاتلي جماعة أنصار الله (الحوثيين) وقوات حليفهم السابق صالح من جهة، وبين مقاتلي المقاومة الشعبية بالمدينة وقوات التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات من جهة مقابلة، تعرضت كنيسة شيلدن لانتهاكات من قبل مقاتلي الجماعة. كما تعرضت بعد انسحابهم من المدينة لانتهاكات أخرى من قبل مسلحين تابعين لتنظيم القاعدة.

مبارك (اسم مستعار) (20 سنة)، أحد سكان الحيّ الذي تقع فيه الكنيسة، أدلى بشهادته التالية عن الانتهاكات التي طالتها:

«منذ دخول جماعة أنصارالله (الحوثيين) وقوات صالح إلى منطقة حافون، في منتصف أبريل/ نيسان 2015، قاموا باقتحام كنيسة شيلدن وتدمير كافة التماثيل فيها. كما أنهم بحثوا عن معتنقي المسيحية الساكنين في الكنيسة، لكن الجيران قاموا بإخفائهم وحمايتهم. وعلى إثر انسحاب الحوثيين وقوات صالح من المعلّا، في منتصف يوليو/ تموز 2015، جاء مسلحون من تنظيم القاعدة، بعد حوالى نصف شهر، وأرادوا تفجير الكنيسة، لكن أهالي الحي تصدّوا لهم. لم ينجحوا سوى بتدمير الصليب، الذي كان في واجهة المبنى. وفي ديسمبر/ كانون الأول من نفس العام، تسلّل مجموعة من المتطرفين إلى داخل مبنى الكنيسة، وتفاجأنا بسماع صوت انفجار قوي بدون نار من داخل الكنيسة. أدى ذلك التفجير إلى تحطُّم كامل أثاث الكنيسة، وسقوط السقف الخشبي، وأُلحقت أضرار بسيطة بالجدران. الآن الكنيسة مغلقة. أغلقناها نحن أهالي الحي، وهي مهجورة»[116].

(116) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 10 مايو/ أيار 2016.

مسجد الحسيني — عدن

مسجد الحسيني، أو مسجد الخوجة، هو أحد المساجد الأثرية وذات الطراز المميز في مدينة عدن. بُني في بداية القرن العشرين، ويقع في شارع القطيع بمديرية صيرة.

قبل دخول جماعة أنصارالله (الحوثيين) إلى كريتر في أبريل/ نيسان 2015، كان ثمة شكوك تثار حول ما أطلق عليها جماعة الشيعة العدنية، ما دفع بأفراد هذه الجماعة إلى السفر بشكل مفاجئ. وبعد سيطرة مقاتلي جماعة أنصار الله (الحوثيين) على كريتر، تمركزوا في عدة أماكن، من بينها مسجد الحسيني ومحيطه. بعدها بأربعة أشهر تقريباً، استهدف طيران التحالف العربي الذي تقوده السعودية والإمارات، المسجد الأثري بقنبلة أدت لتدميره بصورة شبه كلية. لم يتبقّ منه سوى ركام، وقبتين بحالة سيئة. عند رفع الركام، تم تحطيم ما تبقى من محتويات المسجد، لكن تم تسوير المكان بغرض تحويله إلى مسجد للسنة. كما تم الاستيلاء على عمارة تابعة للمسجد كانت تقام فيها فعاليات شيعة عدن، وفيها مقر جمعيتهم، بسبب كونهم شيعة وبتهمة تقديم المساعدة لجماعة أنصار الله (الحوثيين) خلال فترة الحرب.

عبدالقادرعبدالله المحضار (50 سنة)، وهومؤرخ، ورئيس مركزالإبداع الثقافي بمدينة عدن، وأحد سكان الحيّ الذي يقع فيه مسجد الحسيني. قال المحضارفي شهادته على واقعة تدميرالمسجد:

« هذا المسجد عمره 109 سنوات. ومع بداية الحرب في عدن مطلع مارس/ آذار 2015، اتفق الأهالي على إغلاقه. بقي المسجد مغلقاً حتى بعد دخول الحوثيين المنطقة. وفي الساعة 11:45 تقريباً، من ظهر الخميس 29 رمضان، قام طيران التحالف الذي تقوده السعودية والإمارات، بقصف المسجد بقنبلة أدت لتدميره بشكل شبه كلي. بقي من المسجد قُبّتان فقط. وفي يوم عيد الفطر، قام مجموعة من ضعاف النفوس ببيع أخشاب المسجد. وقبل الـ30 من نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، قامت جماعة من السنة برفع ركام المسجد وتسويره. موقع المسجد الآن مسوّر، وعليه لوحة مكتوب عليها أسماء شهداء جماعة السنة. أما الحسينية، وهي قاعة احتفالات ومناسبات تتبع المسجد، فقد تم تحويلها إلى مسجد للسنة. والأدوار العليا من المبنى خُصصت لتسكين عوائل من أهالي المنطقة تدمرت منازلها في فترة الحرب. كما تم الاستيلاء على بعض منازل الشيعة في كريتر»[117].

أحمد (اسم مستعار) (46 سنة)، وهوأحد سكان الحي الذي يقع فيه مسجد الحسيني. وقد أدلى بشهادته أيضاً على هذه الواقعة قائلاً:

«مع اجتياح الحوثيين لعدن، تمركزوا في عدة أماكن؛ في القطيع، في البنك المركزي، في مسجد الخوجة (الحسيني)، في ثانوية البيحاني النموذجية وفي مدرسة بازرعة للبنات. وفي 29 رمضان، تم قصف المسجد الأثري بالطيران وتدميره كلياً.»[118].

(117) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع عبدالقادر المحضار، تاريخ 15 مايو/ أيار 2016.
(118) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، 16 مايو/ أيار 2016.

معبد البِينيان أو معبد الهندوس

عدن

معبد هندوسي في مدينة عدن، ويعرف باسم «شري هينغراجماتاجيماندير». بُني مطلع القرن العشرين، في موقع جبلي مميز، داخل كهف كبير في وادي الخساف بمنطقة كريتر. كانت طائفة الهندوس في عدن تمارس فيه طقوسها وشعائرها الدينية مساء كل جمعة. كما كانت تتم صيانة المعبد دورياً من قبل الجمعية الهندية في عدن[(119)].

في أواخر يوليو/ تموز 2015، أقدمت مجموعة من المسلحين الملثّمين ينتمون لجماعة «أنصار الشريعة»، على اقتحام المعبد وتحطيم محتوياته من تماثيل ومقتنيات أخرى تخص المعبد وطقوس العبادة فيه. وقد وضع المسلّحون قبل خروجهم ملصقاً على أحد الجدران، يحمل شعار «أنصار الشريعة»، وسمحوا لمجموعة من المواطنين بدخول المعبد ونهب بقية محتوياته.

■ معبد البينيان - الهندوس
تصوير/ علاء السيد

(119) http://eoisanaa.org/the-rich-hindu-temple-heritage-in-aden/

يسري (65 سنة)، كان شاهد عيان على هذه الواقعة، وأدلى لـ«مواطنة» بالشهادة التالية:

«أيام الحرب، في مايو/ أيار 2015، دخل الحوثيون وكسروا أقفال المعبد ليفتشوه ويتأكدوا من خلوّه من السلاح، ثم خرجوا ولم يعودوا. وبعد انسحابهم من عدن في يوليو/ تموز 2015، جاءت ثلاثة أطقم على متنها مسلحين ملثمين، اقتحموا المعبد وعبثوا بمحتوياته؛ كسروا تمثال البقرة والتماثيل الأخرى والقرابين وبعض الصور واللوحات. بعد ذلك، ألصقوا ملصقاً عليه شعار تنظيم القاعدة وعبارة «أنصار الشريعة»، ثم سمحوا لبعض المواطنين بسرقة بقية المحتويات، من طعام ومعدات طبخ وثلاجات وأسطوانات غاز. منذ ذلك الوقت، لم يأت أحد. أنا هنا أحرس المعبد منذ ثلاثين سنة، والمعبد يتبع السفارة الهندية»[120].

(120) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 9 مايو/ أيار 2016.

الفصل الخامس
متاحف

المتحف الحربي عـــدن

يعود تاريخ المتحف الحربي في عدن إلى العام 1918. حينها كان مدرسة للتعليم الأساسي- المرحلة الأساسية باللغة الإنجليزية (Residency School). وفي 22 مايو/ أيار 1971، بعد الاستقلال عن المملكة المتحدة وجلاء آخر جندي إنجليزي في نوفمبر/ تشرين الثاني 1967، تم تحويله إلى متحف للتراث العسكري اليمني، بقرار أصدره رئيس اليمن الجنوبي آنذاك، سالم رُبيّع علي.

أبرز مقتنيات المتحف هي الأسلحة القديمة وصور الثوار، ومعروضات عن تاريخ اليمن العسكري ومراحل التطوير الحديث التي شهدتها القوات المسلحة اليمنية. كما يحتوي على صور وأعمال يدوية تاريخية صنعها الإنسان من الحجارة.

يقع المتحف في شارع يحمل اسمه (شارع المتحف) بمديرية صيرة. في أبريل/ نيسان 2015، تسببت محاولات جماعة أنصار الله (الحوثيين) اقتحام مدينة كريتر، إلى تعرض المتحف لعدة قذائف ألحقت أضراراً متفاوتة في جدرانه. وفي مايو/ أيار من نفس العام، تمكن مقاتلو الجماعة من اقتحام كريتر وتمركزوا في عدة أماكن مهمّة، منها المتحف الحربي. كسر مقاتلو جماعة أنصار الله (الحوثيين) البوابة الرئيسية للمتحف ومكثوا بداخله عدة أشهر، نهبوا خلالها بعض محتويات المتحف.

وفي 15 يوليو/ تموز 2015، تعرض المتحف لغارة جوية نفذها طيران التحالف العربي الذي تقوده السعودية والإمارات. أدت الغارة إلى تهدّم جزئي لبعض جدرانه وتشقق بقية الجدران، وانهيار أجزاء من السقف وأرضية الطابق العلوي. حينها غادر مقاتلو جماعة أنصار الله (الحوثيون) مبنى المتحف فراراً، ثم تعرض المتحف لعملية نهب وسرقة فُقدت جرّاءها محتويات كثيرة، أغلبها أسلحة قديمة وثمينة.

المتحف الحربي في المدينة القديمة كريتر بعد الحرب - عدن
تصوير/ صالح باحليس

ناصر أحمد قاسم (57 سنة)، أحد جيران المتحف

أدلى بشهادته لـ«مواطنة» حول ما تعرض له المتحف خلال الحرب وما آل إليه بعدها. قال ناصر: «في بداية دخول الحوثيين كريتر، احتلوا المتحف الحربي. كان ذلك في بداية مايو/ أيار 2015؛ كسروا بوابة المتحف الرئيسية الكبيرة وتمركزوا داخل المتحف، وكانوا يُخرجون الكراسي الفخمة ويقعدون عليها في الشارع أمام المتحف. سرقوا محتوياته، كما استخدموه للتزود بالمؤن الغذائية. وبعدها بفترة، قبل تحرير كريتر بيوم، تقريباً في 28 رمضان، الموافق 15 يوليو/ تموز 2015، تم قصف المتحف بغارة جوية لطيران التحالف، أدّت لتدمير حوالى 20% منه. بعد ضرب المتحف قام بعض اللصوص بسرقة بعض محتوياته، من سلاح قديم وغيره. المتحف الآن منهدم من جزئه الشمالي بما في ذلك السقف. بعض جدرانه مهدمة، وما تبقى من محتوياته لا تزال بداخله»[121].

(121) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع ناصر أحمد قاسم، تاريخ 12 مايو/ أيار 2016.

المتحف الوطني للآثار (قصر العُرْضي) ـــــ تعز

يقع المتحف الوطني، أو «قصر العرضي»، في منطقة العرضي المحاذية لحيّ الجحملية من جهة الشمال، وهي تابعة لمديرية صالة. اتخذه الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين (آخر الأئمة الذين حكموا اليمن)، مقراً لحكمه الذي امتد من 1948- 1962. ورغم أن المصادر لا تشير إلى الفترة التي بُني فيها القصر، إلاّ أن هناك مقولات متداولة تفيد بأن بناءه بدأ في أواخر وجود الدولة العثمانية في اليمن، لكنه لم يكتمل حتى العام 1926، عندما قام بإكمال بنائه أمير تعز حينها، علي بن الوزير.

تم تحويل القصر إلى متحف وطني للآثار، وافتتح بشكل رسمي في العام 1967. ويحتوي المتحف على معروضات تراثية ومقتنيات للإمام أحمد وأسرته، إضافة إلى أسلحة قديمة وصور تذكارية معظمها عن فترة حكمه[(122)].

مع بداية النزاع المسلح في مارس/ آذار 2015، سيطرت جماعة أنصار الله (الحوثيون) على تعز، واستخدمت المتحف في تخزين السلاح والذخيرة واستراحة لمقاتليها. وفي الساعة 11:00 من ظهر السبت 13أغسطس/ آب 2015، تعرض مبنى المتحف للقصف خلال اشتباك بين مقاتلي الجماعة ومقاتلي المقاومة الشعبية، الذين تمكنوا من فرض سيطرتهم عليه. وبعد انسحاب مقاتلي أنصار الله (الحوثيين) من المبنى، قاموا بقصفه، رداً على مقاتلي المقاومة.

كانت نتيجة هذا القصف المتبادل، تدميراً جزئياً لغرفتين في الدور الثالث من المتحف، إضافة لأضرار متفاوتة بين المتوسطة والخفيفة في أجزء مختلفة منه. وقد تمكنت «مواطنة» من القيام باستطلاع سريع للأضرار التي لحقت بالمبنى، غير أن فريق البحث لم يتمكن من التقاط أية صور للأضرار، بسبب التشديد الأمني الذي كانت تفرضه في المكان، كتائب أبي العباس ومسلحون من تنظيم القاعدة؛ فقد كانت المنطقة تخضع في ذلك الوقت، لسيطرة فصائل مختلطة من المقاومة الشعبية.

وكانت بعض محتويات المتحف تعرضت للنهب، في اليوم نفسه الذي وقعت فيه الاشتباكات؛ حيث علمت «مواطنة»، بأن مسلحين من كتائب أبي العباس، قاموا بإخراج ثلاث حقائب من العملات والمقتنيات الفضية، وثلاث حقائب أخرى من المقتنيات النحاسية، وهو الأمر الذي تحفظ في الحديث عنه الشاهد الذي تمكنت «مواطنة» من الالتقاء به.

(122) المصدر: المركز الوطني للمعلومات.

سعد (اسم مستعار) (42 سنة)

قال إن واقعة النهب حدثت في نفس اليوم الذي حدثت فيه تلك الاشتباكات العنيفة التي أسفرت عن انسحاب مقاتلي جماعة أنصارالله (الحوثيين) من المبنى. وأضاف: «وصل مقاتلو المقاومة في يوم السبت الموافق 13 أغسطس/ آب 2015، إلى النقطة الرابعة **(درج سكان تعز على تسمية المستشفى اليمني السويدي بالنقطة الرابعة، والتصقت هذه التسمية بالحيّ)**. كان ذلك في ساعات الصباح الأولى، وكان مسلحو الحوثيين وصالح يتحصنون في بعض المواقع، ومنها دار العرضي/ المتحف الوطني للآثار. كانوا يستخدمونها كمواقع عسكرية هجومية على أحياء المدينة. وبعد أن خسر الحوثيون هذه المواقع، انسحبوا وتمركزوا في محيط حيّ الجحملية، القريبة من العرضي بمسافة 80 متراً تقريباً. عندها بدأ القصف العشوائي بشكل جنوني على كامل المنطقة. كانت الساعة 10:00 صباحاً تقريباً، وفي الساعة 11:00، قصف الحوثيون مبنى المتحف بقذيفتين مدفعيتين متتابعتين، ما تسبب في تدمير غرفتين في الدور الثالث، وإلحاق أضرار بالغة بالمبنى المشيّد من الطوب والأخشاب. كان ذلك أول قصف على المتحف، وقد تسبب في تشقق وتخريب أغلب جدرانه»[123].

وتابع سعد: «تسبب القصف والاشتباكات في تضرر المباني والمحلات المحيطة بالمتحف. كما تسبب في نزوح الأهالي من منازلهم، الأمر الذي جعل هذه المنازل والمحلات عرضة للنهب وقطع أرزاق الناس وتوقف الحركة في المنطقة تماماً. لقد تحولت إلى منطقة مهجورة ومرعبة».

وعن وقائع النهب التي طالت مقتنيات ومحتويات المتحف، قال سعد: «بعد وصول المقاومة إلى المنطقة وسيطرتها على المكان، علمنا أن كتائب أبي العباس قامت في اليوم نفسه، بسحب ثلاث حقائب متوسطة الحجم تحتوي على عملات ومقتنيات أثرية فضية، وثلاث حقائب تحتوي على مقتنيات نحاسية أثرية متنوعة. هذا ما علمت به، كونها تم تحريزها من قبل المكتب القانوني لكتائب أبي العباس. أما بقية المقتنيات الأثرية فهي حالياً مطمورة تحت الأنقاض بالمتحف، في الغرفتين المدمرتين». ثم استدرك قائلاً: «في ذلك اليوم عمّت حالة من الإرباك الشديد، نتيجة تسارع الأحداث واستلام المقاومة لهذه المواقع بعد سقوطها من يد الحوثيين؛ يصعب تحديد ما إذا كان هناك قطع أثرية تم نهبها، بسبب تداخل الأحداث وتسارعها، وارتفاع نسبة الخطر نتيجة القصف، خصوصا أنه تم إغلاق المكان ومنع الدخول إليه بسبب خطورة الوضع هناك».

(123) مقابلة مواطنة لحقوق الإنسان مع شاهد عيان، تاريخ 2 فبراير/ شباط 2017.

تنويه وشكر

أعدّ تقرير **"تجريف التاريخ"** فريق وحدة البحث في مواطنة لحقوق الإنسان، بإشراف الإدارة التنفيذية والإدارة العليا، وبتعاون باقي الوحدات والإدارات في المنظمة، وبمشاركة خبراء متخصصين.

تود مواطنة أن تعرب عن فائق امتنانها وتقديرها لمنظمة "باكس" لدعمهم الهام والقيم في إنجاز هذا التقرير، وكذا لتوصياتهم وملاحظاتهم الجوهرية و البناءة.

كما تتوجه "مواطنة" بالشكر الجزيل إلى كل من أدلوا بشهاداتهم وقدموا معلومات وبيانات عن الوقائع الموثقة في هذا التقرير، كما تتوجه بالشكر إلى الاستشاريين الذين ساهموا بتقديم الملاحظات وإثراء التقرير أثناء فترة إعداده ومراجعته.

لولاهم جميعاً لما رأى هذا التقرير النور.

مواطنة لحقوق الإنسان

paxforpeace.nl

مواطنة لحقوق الإنسان:

مواطنة منظمة يمنية مستقلة تشارك في الدفاع عن حقوق الإنسان. في عام 2018 ، قدرت جائزة بالدوين عملنا وأعلنت منظمة هيومان رايتس فيرست منح ميدالية روجربالدوين للحرية لمواطنة. وفي نفس العام،مُنحت جائزة هرانت دينك الدولية العاشرة لمواطنة لإعلام العالم عن حالة حقوق الإنسان في اليمن والنضال ضد انتهاكات حقوق الإنسان في البلاد .

www.mwatana.org

PAX:

Pax تعني سلام. وتعمل منظمة باكس مع مواطنيين وشركاء ملتزمين من أجل حماية المدنيين في النزاعات، وإنهاء العنف المسلح، وبناء السلام. وتعمل باكس بصورة مستقلة عن المصالح السياسية.

www.paxforpeace.nl

تجريف التاريخ

انتهاكات أطراف النزاع للممتلكات الثقافية في اليمن

> شكّل استهداف الممتلكات الثقافية والآثار أحد مساحات الاتفاق لكافة الأطراف المتحاربة في اليمن. إذ يحضر التدمير الذي طال الآثار والمعالم التاريخية والمباني الأثرية والدينية، بوصفه أبرز مظاهر انزلاق البلاد إلى هاوية حرب بلا قرار؛ حرب أتت على كل شيء و لم تدخر بعيداً، حياة اليمنيين وممتلكاتهم، بما في ذلك ماضيهم الضارب في القِدَم، ومتّحدهم الثقافي. وبالمثل، طالت أضرار الحرب الذاكرة الجمعية لليمنيين، المتمثلة بتراثهم التاريخي وأسلوب بنائهم الفريد الظاهر في حصونهم وقلاعهم الشاهقة، وأبراجهم العالية، وزخارفهم الأصيلة على جدران أماكن العبادة وزواياها."

مواطنة لحقوق الإنسان

. نوثق . نساند . نؤثر

مواطنة منظمة يمنية مستقلة تشارك في الدفاع عن حقوق الإنسان. في عام 2018 ، قدرت جائزة بالدوين عملنا وأعلنت منظمة هيومان رايتس فيرست منح ميدالية روجربالدوين للحرية لمواطنة. وفي نفس العام،مُنحت جائزة هرانت دينك الدولية العاشرة لمواطنة لإعلام العالم عن حالة حقوق الإنسان في اليمن والنضال ضد انتهاكات حقوق الإنسان في البلاد .

اليمن صنعاء
تلفون : 755 210 1 967+
فاكس : (113).ext 755 210 1 967+
بريد إلكتروني : info@mwatana.org